الحكومة الإسلامية

المرجع الديني الأعلى
الإمام المجاهد السيد روح الله الخميني

إعداد و تقديم
د. حسن حنفي

المرجع الديني الأعلى
الإمام المجاهد السيد روح الله الخميني

الحكومة الإسلامية

إعداد وتقديم

د. حسن حنفي

أستاذ الفلسفة الإسلامية
جامعة القاهرة

الطبعــة الأولى

سبتمبر سنة ١٩٧٩

الاهـــــداء ...

الى آلاف الشهداء الذين سقطوا تحت جنازير الدبابات
يـــوم ١٥ خرداد

الى الطلبة والاساتذة الذين لطخوا بدمائهم جدران أروقـــة
المدرسة الفيضية بقم

الى روح الفيلســـوف الاســـلامى الثورى الشهيد
على شريعتـــى

الى شهداء الثورة الدينية فى أمريكـــا اللاتينيـــة

الى شهـــداء الثـــــورة فى كـــل مكـــان .

حسن حنفـــى

مقـــدمة

(١) الاســلام السياسى (١) :

تبرز أهميــة الاسلام السياسى بعد الثــورة الاسلامية العظمى فى ايــران بعــد أن جــرب العــالم الاسلامى الايديولوجيات المعــاصرة من وطنية ضيقـــة او قوميــة أوسـع او ليبراليــة غربيــة أو اشتراكية عســكرية أو ماركسيــة تقليدية ، قــدمت الثورة الاســلامية فــى ايــران اخيــرا « الاســلام الثــورى » باعتباره اختيارا للمسلمين يحفظون من خلاله حريتهم ، ويقفون به أمــــام الاستعمار والصهيونية والرأسمالية والعنصرية والقــوى التــى تمثلها والتــى ما زالت اخطر اعــداء الاسلام ، فمنذ سقوط الخلافه الاسلامية عـــــام ١٩٢٤ على يــد كمــال اتاتورك بعث الامــل من جديــد فى المســلمين خاصة بعد أن رفعت الثورة الاسلامية فى ايــران شعار « ايــران اليــوم وفلسطين غــدا » وبعد أن أصبح الطريق الى طهران مارا بالقدس .

وكانت قيــادة الامــام الخمينى عنصرا حاســما فى نجــاح الثورة الاسلامية بأيران ، اذ يتمتع الامام بارادة حـــــديدية لا تعرف العجز أو المهادنـــــة ، ذو موقف صــارم لا يعــرف المســاومة أو انصــاف الحلول . ومع ذلك فهو صاحب فكــر منذ صباه ، ولــه تآليفــه فى السياسة التــى هــى علم الفقــة ، واصول السياسة وهى علم أصول الفقــة فى تراثنا القــديم . وغلب علــى تدريســه فــى جامعة قــم وعلى مؤلفــاته ، ومعظمهــا ما زال مخطوطــا لــم ينشر ، هذا العلم ، ولم تغلب عليه الفلسفات النظرية من كلام وفلســـفة أو النزعات الصوفية مع أنه استاذ الفلسفة والعقيدة . فهو رجـــل عمـــل اكثــر منــه رجل نظــر وفقيــه مناضل وليس فقية السلطان ، وعــالم باحوال المسلمين الحاضرة وليس عالمــا باحكــام الحيض والنفاس .

---

(١) هو التعبير المفضل لدى صديقنا أنور عبد الملك فى دراساته العديدة .

ويتصف منهج الامام الثورى بأنه منهج انقلابى مثل منهج الامـام أبـى الاعلى المودودى ، ومنهج الامام الشهيد سيد قطب . فتغير المجتمعات الاسلامية ممكن فقط بعد قلب انظمة الحكم فى الدول الاسلامية الراهنة وتغيير السلطة السياسية فيها . وقد تم ذلك فى ايران باسقاط الشـاه أولا ورفض أية حكومة دستورية أو برلمانية أو وطنية فى ظله صبا لقول عثمأن المأثور « ان الله يـزع بالسلطان مالا يـزع بالقرآن » ، وسيرا فى طريق الافغانى بضرورة قلب انظمة الملوك والسلاطين والامراء فى العالم الاسلامى، عملاء الاستعمار وناهبى ثروات الشعوب وعلى خلاف المناهج التربوية الطويلة للشعوب الاسلامية التى طالب بها محمد عبده .لذلك يصدر الامام الخمينى كتابه بالآية الكريمة : « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون » (٢) .

والفقيه هو الذى يناط به احداث هذا الانقلاب . فهو الـذى يتصدى للحاكم الظالم ، ويقاوم التسلط والطغيان ، ويوعى الناس ، ويقود الثورة. فالعلماء فى نهاية الامر هم حصون الامة وورثة الانبياء . وان أعظم شهادة عند الله هى كلمة حق فى وجه سلطان جائر . هؤلاء الفقهاء الذين قاموا بولايتهم قد لاقوا ربهم بعد السجن والتعذيب حتى نالوا الشهادة ، ولم يركنوا الى الدنيا طالبين الغنم والجاه مثل فقهاء السلطان .

وكتاب « الحكومة الاسلامية » أو « ولاية الفقية » يدخل ضمن هذا التراث السياسى الاسلامى المعاصر ـ نشرته الحركة الاسلامية فى ايران ويحتوى على دروس فقهية القاها الامام الخمينى ، المرجع الاعلى للشيعة على طلاب علوم الدين فى النجف الاشرف تحت عنوان « ولاية الفقية » فى ١٣ ذى القعدة الى غرة ذى الحجة ١٣٨٩ أى منذ أكثر من عشر سنوات . وهو يشابه كتاب ابن تيميه « السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية » وكتابه الاخر « الحسبة فى الاسلام أو وظيفة الحكومة الاسلامية » وكذلك كتاب

---

(٢) النحل : ٣٤

ابن القيم « اصلاح الراعى والرعية » وغيرها من الكتب الفقهيـة الاسـلامية التى تتحدث عن النظـم الاسلامية مثل « الاحـكام السلطانية » للمـاوردى أو لابى يعلى أو « أدب الدنيـا والدين » للماوردى . ولكن كتاب الامام الخمينى يمتاز عـن هؤلاء ، بأنـه يركز على دور الفقيـه فـى الثورة الاسلامية وعلى ضرورة اقامة الحكومة الاسلامية وتأسيس الدولة الاسلامية فى مواجهة الاستعمار والصهيونية. فالامـام الخمينى فقيـه مجـدد ، يبغى الاصلاح من اجل الثورة ، وليس فقيهـا مقلدا يبغى الاصلاح من خلال النظام القائم .

والكتاب صادر عن تجارب شخصية ونضـال سياسى طويل للامام الخمينى مثل معظم فقهـاء أهل السنة وعلى راسهم ابن تيمية والافغانى ، يجمع بيـن المنقول والمعقـول والمعاش . واصبحت احـوال المسلمين الحاضرة مقياسا لاختيـار المنقـول ، ومـادة للمعقول . فالكتاب دعوة للفكـر ودعـوة للنضال المشـترك فـى آن واحـد .

٢ ـ الاستعمار والصهيونية :

وترجع أهمية هذا الكتاب الى انـه تجديد للفقـه الاسـلامى فيما يتعلـق بقضايا العصر المصيرية وعلـى راسها الغـزوات الاستعمارية والصهيونيـة والمؤامرات التى تحاك ضـد الاسـلام كدين وضد المسلمين كثروات ، وامكانيات بشرية ومواقع جغرافية ، وقيم حضارية .

فاليهود منذ البداية لـم يريدوا بالاسـلام وبالمسلمين خيرا ، وبدأوا نشـاطهم المعتاد لتشويه الاسلام والافتراء عليه والوقيعـة بين المسـلمين ، ويعلمـون لذلك افرادا وجماعات ، ويتعاون فى ذلك كل قـوى الاستعمار وعملائه من الحـكام الخونـة والصهيونية والماديـة الملحـدة على تحريف الاسلام وتشويهـه . يقول الامام الخمينى : « ها نحن نرى اليهـود يعبثون بالقرآن ، ويحرفون الكلم عن مواضعه فى طبعات للقرآن جديدة ينشرونها فى الارض المحتـلة وغيرها . علينـا ان نكشف تلك الخيانة ، ونصرخ باعلـى اصواتنـا حتـى تفهم الناس أن اليهود وسادتهم الاجانب يريدون بالاسلام كيدا ، ويمهـدون

السبل ليسود اليهود على هذا العالم كله ، واخشى ما اخشاه ان يصلوا الى مآربهم بسبلهم الخاصة ، وبسبب من ضعفنا قد نصبح ذات يوم لنجد حاكما يهوديا يحكم بلادنا لاسمح الله » (٣) . وقد استشرى نفوذ الصهيونية (فى ايران خاصة) مباشرة من خلال احتلال الاراضى او بطريق غير مباشر عن طريق نهب الشركات الرأسمالية لثروات المسلمين . يقول الامام الخمينى ايضا : « نشترى طائرات الفانتوم ويتدرب عليها الاسرائيليون . وبما ان اسرائيل فى حالة حرب مع المسلمين ، فكل من يساعدها ويساندها يكون هو بدوره فى حالة حرب مع المسلمين . وقد بلغ النفوذ الاسرائيلى فى بلدنا حدا لا يطاق حتى ان العسكريين الاسرائيليين يتخذون من اراضينا قواعد لهم ، واسواقا لبضائعهم مما سيؤدى الى انحدار اسواق المسلمين تدريجيا » (٤) . حرقوا المسجد الاقصى وأثار الجريمة ما زالت باقية ، ويفتتح الشاه اكتتابا فى البنوك لاعادة بنائه وترميمه فيملأ جيوبه وخزائنه من اجل ستر جريمة الصهيونية . فى حين ان الاسلام أمرنا بالدفاع عن أراضينا « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. » فاذا التزم المسلمون بأحكام الاسلام ، لم يكن فى ميسور حفنة من اليهود احتلال أراضينا . وتخريب مسجدنا الاقصى واحراقه من غير ان يقابل ذلك ادنى مقاومة ... لم يكن باستطاعه شرذمة اليهود وصنائع امريكا وبريطانيا ان ينتهوا الى ما انتهوا اليه مهما اعانتهم امريكا وبريطانيا (٥) .

وقام النصارى بنفس الشىء . وآخر ما قاموا به هو الاستعمار الذى ساد العالم الاسلامى منذ ثلاثة قرون . لم يكن الهدف التبشير والتنصير فهم لا يؤمنون بأى دين ، ولكن الهدف كان السيطرة والنفوذ على ثروات المسلمين وهدم الاسلام من الداخل . فقد كان الاسلام هو الحصن المنيع الذى حمى المسلمين اثناء الغزوات الصليبية . واستعمل الاستعمار فى

---

(٣) الحكومة الاسلامية ص ١٢٠ — ١٢١

(٤) المصدر السابق ص ١٢٤

(٥) المصد السابق ص ٣٢

ذلك المبشرين والمستشرقين واجهزة الاعلام والجمعيات الدينية الدوليـة من اجل تحريف الاسلام • وكـان القصـد من تشويه الاسـلام فـي ذهـن المسلمين عن طريق الجماعات والهيئات العلميـة القضاء على حيويته حتـى لا ينتبه اليه المسلمون ، فيظلون في خمودهم ، ولا يفكرون في تأسيس دولـة اسلامية واقامـة حكومة للدفـاع عن استقلال المسلمين والمحافظـة على هويتهم • كان الهدف ابعاد المسلمين عن الاسـلام ابقاء على تخلف المسـلمين وضعفهم وبؤسهم ، واستنزافا لثرواتهم ، وطمعـا في أراضيهم وقواهم البشريـة يظل المسلمون فـي فقرهم ويتمتع المستعمرون بأموالهم وحتـى لا يعلم المسلمون ما شرعـه الاسلام فـي الفقـر والغنـى وفـي الجهـاد والقتال للاعداء • لـم يستطع احد من المسلمين الحديث عن الحـكومة الاسـلامية والا قضى عليه عمـلاء الاستعمار واتهموه بقلب نظـام الحكم والخروج عن الدين والملة، والاعتداء على الحرمات ، والجنون والعته ، والقتل وسفك الدماء كمـا حاول ذلك عملاء الشاه في العراق بعد صدور الطبعة الاولى من هذا الكتاب •

وقـد انخدع المسلمون بذلك حتـى تخلوا عن تقاليدهم وهويتهم حتـى اعتبر البعض لباس الحرب والقتال منافيا للمودة في حين كان الائمـة يلبسـون للحرب لامتها ، ويمتشـقون لهـا السيوف • وقـد بلـغ الامـر بالبعض الآخـر الى احتقار النفس والاحساس بالصغر امام تقدم الغـرب المادى ، وأربحوا قصورنا الى الدين وانه لا سبيل الى التقدم واللحاق بالغرب الا بنبـذ الدين والخروج عن تعاليمه • فالدين هـو الذى منعنا من الوصول الى القمـر، ونبـذ الدين لديهم هو الذى مكنهم من الوصول اليـه !

وقـد ركـز الاستعمار تشويهه للاسـلام في اتجاهات أربعة :

١ — قالوا : ان الاسـلام لا صلة لـه بتنظيم الحياة الاجتماعية أو تأسيس حكومة أو اقامة دولة بـل انـه يعنى فقط باحـكام الحيض والنفاس ! وأقصى ما فيـه بعض الاخلاقيات لتهذيب النفس ، كمـا يدعو الصوفية وعملاء الاستعمار من حكـام العالم الاسلامى داعين أيضـا الى فصل الدين عن السياسة مثـل أسيادهم المستعمرين • يروج عملاء الاستعمار من المسلمين ذلك ايضا مـن أجل القضاء على الاسلام كنظام شامل للحيـاة حتى يسـهل على الاستعمار

ابتلاع المسلمين ونهب ثرواتهم عن طريق تقليد المسلمين لهم والتعاون معهم وتصديق انظمتهم التى يكون فيها المسلمون الضحية ، وثرواتهم المطمع والهدف بل ان حكام المسلمين ما زالوا يروجون لهذه المقالة الابليسية (٥) كما سماها رشيد رضا التى تدعو الى الفصل بين الدين والسياسة ، بين الاسلام والدولة ، وارادوا للاسلام ان يكون مجرد عبادات لا معاملات واخلاقاً فردية لا نظما اجتماعية ، وكان الاسلام أصبح مسيحية ، ودولته كهنوتا حتى يخلو الجو للحكام فيفعلوا ما يشاءون بالمسلمين ، يتحكمون فى ثرواتهم ، ويسيطرون على مقدراتهم ، فى حاضرهم ومستقبلهم دون أن يكون للاسلام فى ذلك رأيا لانهم يعلمون راى الاسلام فيهم فيما يفعلون ، ويخشونه ، ويريدون القضاء على قسوته اذا ما فهمه المسلمون على حقيقته مباشرة من القرآن والحديث ، وهما المصدران الاساسيان للتشريع فى الاسلام ، المنظمان لشئون الحياة لا عن طريق المستشرقين ورجال الكهنوت والمبشرين المؤتمرين باوامر الاستعمار ، ان آيات المجتمع فى القرآن تزيد اضعافا مضاعفة عن آيات العبادات . وابواب الحديث التى تمس الاقتصاد والسياسة والاجتماع لا تقل عن آيات العبادات والاخلاق . فالاسلام ليس مسيحية ، والمسجد ليس كنيسة ، والفقيه ليس قسيسا . ولقد صرخ عمر فى رجل متعبد : لا تمت علينا ديننا . لقد ظهر الاسلام فى مقابل اقوى امبراطوريتين قديمتين : امبراطورية الفرس وامبراطورية الروم ، وكلاهما عرفا بتنظيم شئون الحياة . فامر الاسلام بنظام اجتماعى على مستوى العصر ، وما كان الاسلام بمتنكر لعبقرية العصر فى القانون والتشريع .

٢ ـ واحيانا أخرى يقولون : ان الاسلام ناقص ، ولابد من استكماله بالقوانين الوضعية التى ابدع فيها الغربيون فأصبحت دساتير المسلمين مستعارة من النظم الغربية ، واقروا النظم الملكية الوراثية فى حين انه لا يوجد لهذه النظم أى أساس فى الاسلام . لقد ابطل الاسلام النظام الملكى ونظام ولاية العهد وكل الانظمة الوراثية لان الله وحده هو المالك والوارث وصاحب الامر . وقد ثار سيد الشهداء الحسين بن على

---

(٥) فهمى هويدى : المقالة الابليسية ، مجلة العربى العدد ٢٤٧ . يونيو ١٩٧٠ ص ٤٥ ـ ٤٩ .

بالثورة على النظـام الملكى الوراثى الاموى معطيـا القدوة للخلف • وقيـــل ايضا ان من مظاهر النقص عدم تنظيم قوانين للربا وللخمور وللفحشـــاء لذلك اخذ المسلمون بالقوانين الغربيـة فـى هذه الامور • والحقيقة ان الاسلام وضع قوانين لهـا بالتحريم ووضع لهـا الحدود فهناك حـد للسكر وحد للزنا ولا يعيب الاسلام على الاطلاق غياب قوانين للربا فالاسـلام يحـرمه وله قواديه ونظمـه المصرفية الاخـرى • لقـد كـان هـدف الاستعمار من ذلك هو تقليص الاسلام وابعاده عن الحياة العامة خاصة عن ميدان التشريع من أجل احـــلال القوانين الغربية محله • وقـد سببت هذه القوانين الغربية للمسلمين مشـاكل عدة على رأسها طول الوقت للحكم فى أية قضية • فقد يقضى الانســـان عمره كله وعمر ابنائه من بعده للوصول الى حكم فى قضية • وقـــد دهشت أجهزة الاعلام فـى الغرب بعـد انتصار الثورة الاسلامية فـى ايـران من سرعه الحكم على القتلة من جند الشاة وشرطته السياسية فـى حين ان حكم القتل والتعذيب فى الاسلام معروف ، وجريمة الافساد فى الارض حدها معـــروف ، ولا تحتاج الى وقت لاستخراجها ما دام الشهود حاضرون وما دامت القرائن متوافـرة • ومنهـا ايضـا التلاعب بالقوانين ، وكسب أصحاب النفوذ والثروة ما يريدون لصالحهم حتى أصبحت القوانين لا تطبق الا على الضعفاء ، ويهرب منهـا الاقوياء ، ولم يعـد الناس سواء أمام القانون (٦) •

٣ — ويقولون ثالثا ان احكـام الاسلام خشنة قاسية نظـرا لحالة البداوة التى كان يعيشها المسلمون الاوائل ، ولا يمكن تطبيقها فى العصر الحاضر ، فـى حين ان الغـرب يقضى باعـدام من يهـرب عشر جرامات من الهرويين • يحل ذلك لنفسه درءا للفســـاد ولا يبيحون ذلك لغيرهم • وبالمقارنة بعقوبة الجلد ثمانين سوطا لشـارب الخمر يبدو حكم الاسـلام لينـا للغاية ، فالخمر اساس كثيـر من المفاسـدالاجتماعية وفـى نفس الوقت يحللهـا الغرب • وقد وضع الاسلام حدودا مثـل الزانى غير المحصن أو المحصن منعـا للفحشـــــاء والمنكر فى حين تركها الغرب واعتبر ذلك جزءا من الحريات الفرديـــــة •

---

(٦) انظـر ايضـا : عبد القادر عودة : الاسلام وأوضاعنا القانونية •

ولما تهاون المسلمون وقلدوا الغرب استشرى الفساد فى الامة . اذا طبق الاسلام حدوده فى حضور عدد من المؤمنين يقولون خشونة أما مجازر امريكا فى فيتنام فلم يصفها أحد بأنها خشونة . اذا ما دافع الاسلام عن نفسه يقولون اعتداء ووحشية أما مجازر الغرب واعتداءاته على الشعوب فدفاع عن الحرية والمدنية فيحللون لهم ما يحرمون لنا ، ويحرمون علينا ما يحللون لانفسهم .

٤ — وقد قيل ايضا ان الاسلام لا يتضمن تشكيل حكومة أو مؤسسات دستورية . وعلى فرض وجود بعض النظم والتشريعات فانها تفتقر الى ما يضمن لها التنفيذ وبالتالى يبقى الاسلام فى أحسن الاحوال تشريعا لا تنفيذا . والهدف من ذلك ابعاد المسلمين عن السياسة والحكم والادارة ، واقامة الحكومة الاسلامية لتنفيذ القوانين . ولاية الفقيه لا تعنى فقط تشريع الاحكام فقد كان يمكن ايداع ذلك فى كتاب تشريع وكفى الله المؤمنين القتال . ولكن الحاجة الى الخليفة هى حاجة تنفيذية أساسا وليست تشريعية ، فالتشريع من الله ، ولا يمكن تنفيذ القانون الا بسلطة يقوم ولى الامر بتنفيذ القانون كما فعل الرسول والخلفاء من بعده وكما فعل عمالهم فى الامصار المتباعدة لم يكتف الرسول ببيان الاحكام بل نفذها وطبق الحدود . ليس الرسول والخلفاء مجرد مبلغين بل مطيعين للاحكام ومنفذين للحدود . لذلك فان اقامة الحكومة الاسلامية والمؤسسات التنفيذية جزء من الاسلام .

ولكن الاستعمار أراد ان يفصل بين الدين والسياسة وان يجعل علماء الاسلام مجرد دارسين لاحكام الحيض والنفاس . وأوهم الناس ان علماء الدين غير قادرين على التدخل فى شئون السياسة ، واشاعوا ذلك فى برامج التعليم فى حين لم يفرق الرسول ولا الخلفاء ولا الائمة بين دين وسياسة بل اسلام كلى واحد متكامل . أراد الاستعمار للمسلمين ذلك حتى لا يلتفتون الا الى الدين ويتركون السياسة فيستمر الاستعمار ناهبا ثروات المسلمين . وما دام الآذان للصلوات الخمس والنفير للحج ودق الطبول لصوم

رمضان لا تقلق الاستعمار فليعكف المسلمون عليهـا وليكثـروا منها وليعضوا عليها بالنواجذ ويتبارون فى بنـاء المسـاجد واقامة الموائـد والتسابق علـى الحج وبالتالـى يبتعدون عن التحرر من الاستعمار والعمل من أجـل الاسـتقلال الوطنى • وما دامت صلوات المسلمين لا تمنع الاستعمار من نهـب أمـوال المسلمين أو ترويج بضائـع المستعمرين واستثمار رؤوس اموالهم فليكثروا منهـا فرضـا وسنة • وتعمل الحكومات العميلة على ذلك ايضـا فتسمح للمستثمرين الاجانب باستمرارهم فى اسـتنزاف الثروات ، وتجعل التصنيع قاصرا علـى التجميع أو الاستيراد • يكفرون من يكشف أمرهم حتى لا يؤثـر فـى الناس ويقوض دعـائم نظمهم العميلة • يقتلونه أو يخرجونه أن ينفونـه من الارض لانه يخلط بين العلم والسياسة وعلى هذا يكـون النبى أولـى بالاخـراج !

٣ ـ ضرورة تشكيل الحكومة الاسلامية :

ان بدايـة الاسلام كحركة سياسية فى مواجهـة الاستعمار والصهيونيـة هى فى ضرورة تشكيل الحكومة الاسلامية واقامـة المؤسسـات التنفيذيـة لتطبيق الاحـكام كمـا فعـل الرسـول والخلفـاء والائمـة من بعـده • ان احكام الاسـلام نافذة فى كل عصر ، ليس فقط فـى عصر النبـوة أو الخلافـة او الامامـة بـل فى كل عصر • فتنفيذ الاحكـام يتضمن استمرارية التنفيـذ فـى الزمان حتـى فـى غيبة الامـام حتـى ظهور المهدى المنتظـر • ان الاسلام جـاء ليقيم دولة ، واحكامه وضعت لاقامـة مجتمع كما هـو واضـح فى الكتـاب والسـنة وكما هـو مفصل فى كتب الفقـه • ولا يمكن تنفيذ هذه الاحـكام الا بواسطة حكومة مثل الاحكام الماليـة • فالخمس هو مصـدر المـال العـام للدولة وليس فقط لسـد حاجات الفقـراء • والجزية والخراج ايضـا مصـدران للمـال العـام وليست مجرد ضريبة ارض على المسلمين وغيرهم • وتتطلب احـكام الدفـاع عن اراضى المسليمن وحوذتهم اقامـة حكومة لتنظيم الجيوش واقامة الثغور • فـلا قـوام للاسـلام الا بحكومة ولا كيـان للمسلمين الا بدولة •

وبصرف النظـر عن الضرورة الفلسفية العامـة لاقامة الرئاسـة كمـا بان ذلك فى الفلسـفة خاصة عند الفارابـى فى « المدينة الفاضـلة » وابن سـينا فـى

نظرية النبوة وضرورتها للمجتمع ، وكما بان ذلك أيضا فى الفلسفة السياسية العامة ونظريات العقد الاجتماعى والامارة والسلطة وغيرها فان تشكيل حكومة اسلامية واقامة الدولة الاسلامية يقوم على ضرورات ثلاث :

١ - ضرورة الثورة السياسية . فمنذ ثورة على على الامويين ، وثورة الائمة على العباسيين بعد ان تبدلت الخلافة وتحولت الى سلطة الاقلية الموروثة أشبه بأكاسرة الفرس واباطرة الروم وفراعنة مصر لا يمكن ترك الحكومات وشأنها حتى لا يتعطل نظام الاسلام . فكل نظام غير اسلامى شرك . والحاكم أو السلطة فيه طاغوت . ونحن مسئولون عن ازالة الشرك والقضاء على الطاغوت وتربية النشىء على ذلك ، والقضاء على الفساد فى الارض . فليس امام المسلم الا خيارات ثلاث : أما ان يسير فى ركب الطاغوت كما يفعل غالبية المسلمين من الجمهور والعلماء واما ان يتمرد عليه ويحاربه كما تفعل الاقلية من الجمهور والعلماء ويلاقون فى ذلك أشد صنوف العذاب والهوان واما ان يقلل من آثاره وهو ما يتحقق فى النوايا الحسنة ولا يتحول الى فعل حقيقى وينتهى الى العزلة والسكينة والصمت وانتظار حسن الختام . ولا سبيل امام المسلمين الا الخيار الثانى من أجل العمل على هدم الانظمة الفاسدة المفسدة ، وتحطيم زمرة الخائنين والجائرين من حكام الشعوب . هذا واجب يكلف به المسلمون جميعا اينما كانوا من أجل خلق ثورة سياسية اسلامية ظافرة منتصرة .

٢ - ضرورة الوحدة الاسلامية . لقد جزء الاستعمار البلاد ، وحول المسلمين الى شعوب متفرقة . وبعد ان دفن الاستعمار الخلافة تحالف الروس والانجليز لتقسيم الغنائم . صحيح ان الدولة العثمانية كانت تنقصها الكفاءة ومملوءة بالفساد ، وكانت أشبه بالملكية المطلقة وحكم الطغيان ومع ذلك خشى الاستعمار اصلاحها ونهضتها للدفاع عن المسلمين وحرماتهم فقضوا على وحدتها ، ونهبوا ثرواتها ، واضاعوا قوتها ، ونالوا من هيبتها فقسموها بعد الحرب الاوروبية (العالمية) الاولى ووضعوا على كل منها عميلا لهم . لا مفر اذن من اعادة الوحدة الاسلامية والقضاء على الاستعمار

وعملائه فى البلاد الاسلامية . فالثورة الاسلامية واحدة ، تبدأ فى ايران ولا تتوقف حتى تاتى على النظم فى الدول الاسلامية كلها وتعود اليها وحدتها وهيبتها وقوتها ، فيرهبها الاستعمار وتنحسر اطماع الصهيونية .

٣ ـ ضرورة انقاذ المظلومين والمحرومين . بعد أن استعان الاستعمار بعملائه فى البلاد وتم له نهب ثرواتها والاستحواذ عليها أصبح الوضع كالآتى : اقلية مترفة تملك كل شىء واغلبية محرومة لا تملك شيئا . مئات الملايين من الجياع والمرضى والجهال وفى مقابلها افراد ذوو ثراء فاحش وفساد عريض . الدول الاسلامية اذن حبلى بالثورة الاجتماعية ، اذ تثور الاغلبية المحرومة ضد الاقلية المترفة . ولما كانت هذه الاقلية الحاكمة بيدها السلطة فانها تستعمل اشنع اساليب القمع والاضطهاد . « اما نحن فمكلفون بانقاذ المحرومين المظلومين . نحن مامورون باعانة المظلومين ومناوأة الظالمين » كما فعل الائمة والعلماء بعد الرسول . كيف يسوغ لنا اليوم ان نسكت عن بضعة أشخاص من المستغلين والاجانب المسيطرين بقوة السلاح ، وهم قد حرموا مئات الملايين من الاستمتاع باقل قدر من مباهج الحياة ونعمها . فواجب العلماء وجميع المسلمين ان يضعوا حدا لهذا الظلم ، وأن يسعوا من أجل سعادة الملايين من الناس فى تحطيم الحكومات الجائرة وازالتها بتأسيس حكومة اسلامية عاملة مخلصة (٧) . مهمتنا اذن تشكيل حكومة اسلامية لتحطيم الحكام الخائنين والمفسدين واقامة الدولة الاسلامية لتحمى الحمى وتذب عن البيضة وتصون الديار .

٤ ـ نظام الحكم الاسلامى :

يتصف نظام الحكم الاسلامى بثلاث مزايا :

أ ـ ليست الحكومة الاسلامية حكومة مطلقة يستبد فيها رئيس الدولة برايه عابثا باموال الناس ورقابهم بل حكومة دستورية ليس بمعناها الغربى

---

(٧) الحكومة الاسلامية ص ٣٦ ـ ٣٧ .

بل بمعنى ان القائمين بالامر ينتقيدون بمجموعة من الشروط والقواعد المبينة في القرآن والسنة تفترض وجوب مراعاة النظام وتطبيق أحكام الاسلام . فالحكومة الاسلامية حكومة القانون الالهي . الحكومة الدستورية بالمعنى الغربي ، ملكية أو جمهورية تقضي بأن يكون ممثلوا الشعب او ممثلوا الملك مصدر التشريع في حين ان الحكومة الاسلامية تعني ان الله هو المشرع . فالمجلس التشريعي في الغرب يقابل مجلس التخطيط في الاسلام الذي يعمل على تنظيم سير المصالح لا تبعا للهوى ولكن تبعا لشريعة الله .

ب - في الحكومة الاسلامية طاعة الجميع واجبة لله في حين ان الحكومة الدستورية الغربية الطاعة فيها للاغلبية بل وبالقوة اذ لزم الامر . فالحكومة الاسلامية اذن تتمثل مبادىء مساواة الجميع امام مبدأ واحد في حين ان الحكومة الدستورية تعني سيادة الاغلبية على الاقلية طبقا لقانون الاقوى ، وبالتالي فهي حكومة تسلطية لا يستوى فيها الجميع . فالمجالس النيابية البرلمانية في النظم الغربية مجالس مزيفة لانها تلبس ثوب الديموقراطية وتمارس شتى ألوان التسلط والقهر ضد الاقلية المعارضة .

جـ - الحكومة الاسلامية ليست ملكية ولا شاهنشاهية ولا امبراطورية لان الاسلام لا يفرط أو يستهين بارواح الناس وأموالهم . فلا توجد قصور أو بلاط أو ديوان أو خدم أو استراحات في الريف او على شواطىء البحار تبتلع ثروات البلاد . كانت حياة الرسول بسيطة وكذلك حياة الخلفاء حتى جاء الامويون فحولوها الى ملك عضود ، واستمر الحال عند ملوك المسلمين حتى الآن . ومعظم المفاسد الاجتماعية من مفاسد الاسرة الحاكمة لان الناس على دين ملوكهم مما يسبب عجز الدولة ثم الاستدانة من امريكا وانجلترا وما يصاحب ذلك من مذلة ومهانة ولدينا النفط وثروات في باطن الارض . بالاضافة الى اسراف الدولة في الاحتفالات ومظاهر العظمة والملك في حين ان الدولة كانت بسيطة في الاسلام وكان حاكمها يعيش كأفقر فقرائها تحت جذع نخلة وتحت رأسه خف على عكس حكام المسلمين . قياصرة كسرى واباطرة الروم وفراعنة مصر .

والحكومة الاسلامية وسيلة لتحقيق الاهداف السامية . فالحكم ليس غاية في ذاته بل وسيلة لتحقيق أهداف سياسية واجتماعية ، ان تحويل الوسيلة الى غاية يعتبر جريمة ، ومن يفعل ذلك يكون مجرما ، والقيام بشئون الدولة ليس ميزة أو رخصة بل مسئولية اقرار النظام وتنفيذ الاحكام . والامام غير متهافت على الامارة أو الرئاسة ولا هو مشغوف بها ، بل ان من شروط الامام عدم طلب الرئاسة كما يقول ابن تميمة طبقا للقول المأثور « والله لانول هذا الامر من يطلبه » . مسئولية الفقهاء اذن القيام بالولاية ، وتشكيل الحكومة لتنفيذ أمر الله ، واقرار النظام العادل طاعة لله .

الحكومة الاسلامية حكومة ملتزمة بالقانون عكس حكومات اليوم التي يعيش فيها الانسان خائفا على حياته ورزقه . يهجمون عليه وينتزعون روحه وامواله منذ معاوية حتى الآن . الاسلام ليس حكومة على الورق في كتب الفقه فهذه نهايته بل دولة وشريعة ابتداء من حكومة ملتزمة بالقانون تعطى الامان للناس على عكس حكومات اليوم ، حكومات التسلط والاثره ، مصدر الخوف والرهبه .

ومع ذلك فهناك شروط للحاكم تنبع من طبيعة الحكومة . فبالاضافة الى الشروط العامة كالعقل والبلوغ وحسن التدبير هناك شرطان .

أ ـ العلم بالقانون الاسلامى نظرا لان الحكومة الاسلامية حكومة قانون . ولا تكفى معرفة العلوم الطبيعية والعلوم العقلية بل لابد من العلوم النقلية ، وقد جرت العادة من قبل على التركيز على أهمية العلوم العقلية بالاضافة الى العلوم النقلية . فالجاهل بالقانون متبع للهوى او للتقليد . ولما استحالت معرفة جميع القوانين فانه يكفى تلك التى تنفع الحاكم في عمله والقيام بمسئولية الحكم . الجهل مضاد للحكم ، والجاهل لا يكون حاكما للمسلمين .

ب ـ العمل بالعدل ، لان العدل اساس الحكم ، والعدل صفة في النفس

وملكة للانسان تصاحب سلامة الاعتقاد وحسن الاخلاق . وان من يتصدى لتطبيق القانون لا يمكن ان يكون ظالما متعديا طبقا للاية الكريمة « ولا ينال عهدى الظالمين » (٨) والعدل شرط لتادية الامانة ، والحكم امانة ، امانة على مصالح الناس وتنفيذ أحكام الشريعة طبقا لها . وفى الكتاب الكريم « ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كأن سميعا بصيرا » (٩) . ليست الامانة فقط في رد الاموال ، وليس العدل فقط فى القضاء ولكن الامانة والعدل فى الحياة العامة ، والسلوك اليومى ونظام الدولة .

وولاية الفقيه ولاية اعتبارية خالصة ليست محددة فى شخص بعينه هى مجموعة من الصفات يمكن ان تتوافر فى كل فقيه وليس فقط فى الحاكم فى زمان الغيبة لانه لا يمكن تعطيل أحكام الاسلام . وولاية الفقيه وظيفة عملية سياسية يقوم بها الفقيه العالم العادل بامر الادارة والرعاية لمصالح الناس . هى حكومة الناس ، وادارة الدولة ، وتنفيذ الاحكام ، وليست محاباة أواستمرارا للنبوة أو وراثة .ولايةالفقيه أمر اعتبارى خالص ، صفة بلا موصوف ، واسم بلا مسمى ، ومنصب بلا تعيين . الفقيه مثل اصغر الناس ، والخلاف فى الوظيفة فحسب ، فالحاكم ليس له أية ميزة على المحكوم . معنى الولاية ان تكون الاحكام نافذة فى الجميع لادارة شئون البلاد .

والولاية الحالية موجودة لدى الفقيه ، والفقيه قادر على القيام بها . ولكن الولاية على الفقهاء الاخرين لا تكون عليهم بحيث يستطيع عزلهم أو حبسهم لان الفقهاء فى الولاية متساوون من ناحية الاهلية . وكل فقيه يعترف باهلية الاخر للولاية دون تنافس أو حقد أو تحارب . يعمل الفقهاء فرادى أو مجتمعين من أجل اقامة حكومة شرعية لاقامة الحدود ،

---

(٨) البقرة : ١٢٤

(٩) النساء : ٥٨

والدفاع عن الثغور ، واقرار النظام . فان كانت الاهلية محصورة في فقيه واحد كانت واجبا عينيا عليه وان كانت شائعة وعامة في الفقهاء جميعا كانت واجبا كفائيا .

وفي حالة تشكيل حكومة لا تسقط الولاية بل على الفقيه أن يقوم بولايته بأخذ الخمس والخراج لانفاقه في مصالح المسلمين واقامة حدود الله ان استطاع . ولا يعني العجز الوقتي عن تطبيق الاحكام التخلي عند تنفيذها اذا ما توفرت القدرة والاستطاعة واذا ما حانت الظروف .

والفقهاء امناء الرسل من حيث مسئوليتهم في تنفيذ الاحكام . فأهداف الرسالات ليست فقط بيان وتوضيح الاحكام بل تنفيذها واقامة العدل والقسط بين الناس . وذلك لا يتم الا بالحكومة في شخص النبي أو الرسول ثم في الائمة من بعدهم ثم في الفقهاء والعلماء . ليس المقصود بالرسالة الابلاغ فحسب بل التنفيذ ، وطاعة الرسول لا تعني السماع والتصديق للرسول . الرسول ولي المؤمنين يتلوه الامام ثم الفقيه . الفقهاء أمناء الرسل في قيادة الجيوش ، وادارة المجتمع ، والدفاع عن الامة ، والقضاء بين الناس . يناط بهم مهمة القضاء ، فالقضاء من شئون الفقيه العادل ولا يتولى منصب القضاء الا نبي أو وصي نبي أو شقي . وبعد النبي وبمقاومة الشقي لا يبقى الا وصي النبي وهو الامام . الفقهاء هم المرجع في حوادث الحياة ، وهم القادرون على حل المشكلات الاجتماعية المعاصرة وتطورات حياة الناس . الفقهاء اليوم هم الحجة على الناس كما كان الرسول حجة عليهم ، وما كان يناط بالنبي فقد أناطه الائمة بالفقهاء . ليست الخلافة منصب الافتاء فقط بل الولاية والحكومة فالائمة خلفاء الرسول ، والفقهاء العدول خلفاء الائمة . علماء الاسلام هم مرجع الامور ، منصوبون للحكم . ولا يعزل العلماء من منصب الحكم بوفاة الامام بل منصب العلماء محفوظ دائما ، فالامام لا يسهو ولا يغفل ، والعلماء لا يتهاونون في أداء مهمتهم ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تعني في عصرنا رد المظالم ،

أخذ حقوق الفقراء من الاغنياء وتحرير المضطهدين من التسلط والطغيان وليس الغرض من التقية حفظ النفس بل حفظ المذهب من الاندراس ، فالولاية قائمة ولا يمكن للفقيه أن يغيب أو يعتزل . « اذا اعتزل الفقيه الناس فى أمورهم ، ومتبع فى زاوية من داره ، ولم يحافظ على قوانين الاسلام ، ولم ينشرها ، ولم يعمل فى اصلاح شئون المجتمع ، ولم يهتم بالمسلمين فهل يمكن اعتباره حصنا للاسلام أو سوراله ؟ » وظيفة الفقيه اقامة الحدود ، والدفاع عن الثغور ، وجمع حقوق الفقراء من أموال الاغنياء . « نقرأ القرآن لنتغنى به ، ونترك الواقع الاجتماعى الفاسد وانتشار الظلم والطغيان » . ولا يمكن الانتظار حتى ظهور الحجة ، فمقاومة الظلم لا تنتظر الحجة كالصلاة . يقول الخائفون : كلما كثرت الفواحش ظهرت الحجة ، والحقيقة انه كلما كثرت الفواحش دعا ذلك الفقيه الى القيام بواجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والفقهاء أمناء الرسل بمعنى انهم الولاة على الشرع وحماة الاسلام ضد جور الحكام وطغيان السلاطين طبقا لحديث « الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا فى الدنيا . قيل يا رسول الله : وما دخولهم فى الدنيا ؟ قال : اتباع السلطان ، فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم » .

الفقهاء حكام على الملوك . واذا كان السلاطين على جانب من التدين فما عليهم الا أن يصدروا فى أعمالهم واحكامهم عن الفقهاء . وفى هذه الحالة فالحكام الحقيقيون هم الفقهاء ، ويكون السلاطين مجرد عمال لهم » (١٠) .

ولكن فقهاء اليوم وفى مقدمتهم علماء الحديث يروجون الاحاديث التى تروج للحكام الطغاة وللسلاطين الجائرين ، ويفترون على الفقهاء المناهضين للظلم والطغيان « ولعل راويا لا يمتنع أن يروى آلاف الاحاديث فى فضل الحكام الجائرين وحسن سلوكهم عن طريق أعوان الظلمة

---

(١٠) الحكومة الاسلامية ص ٤٩ .

وعلماء البلاط تمجيدا بالسلاطين وتزكية لاعمالهم » (٠) ومثل هذا واقع الآن .

المؤمنون الفقهاء حصون الاسلام فى مواجهة اعتداء السلاطين على حرمات الامة . وقد أمر الله موسى بمعارضة فرعون كما يقول القرآن الكريم ، وأمر الفقهاء والعلماء بمحاربة الملوك الظالمين ومقاومتهم كما يقول الحديث الشريف . أما علماء اليوم المزيفون فانهم يضيعون حقوق الضعفاء ، ولم يطالبوا بحقوق الفقراء ، ولم يبذلوا المال ولا خاطروا بالنفس ، ولا عادوا عشيرة فى الله ، ولا يفزعون لنقض عهود الله ، ويفزعون لنعم الاباء ويهملون المحتاجين ، ويداهنون الظلمة ، ولا يعبرون على الاذى . يأكلون الزور ، ويسكتون على أعمال الجور والظلم « لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يصنعون » ان تقاعس العلماء اشد ضررا على الامة من تقاعس غيرهم لان العلماء حصون الامة . ويقع البلاء من العلماء بقول الاثم وأكل السحت . والاثم اليوم هو معاونة السلاطين وتاييد حكام الجور ، والسحت هو نهب ثروات الشعوب . ان المعاهدات والاتفاقيات المعقودة بين الحكام الخائنين مع الدول أو الشركات الاجنبية لتنصب فى جيوب الحكام ملايين كثيرة ، واخرى مثلا فى جيوب الاجانب دون أن يحصل ابناء الشعب على حقهم فىث روات بلادهم . يحدث ذلك من شركات النفط واستثمار الشعب على حقهم فى ثروات بلادهم . يموت ذلك من شركات النفط واستثمار الغابات والموارد الطبيعية ، والشركات العمرانية وشراء الاسلحة من الاستعمار الغربى أو الشرقى . ويكاد الريف يموت جوعا وفقرا وبؤسا ، فلا يكاد يوجد فى كل مائة قرية أو مائتين مصحا أو مستشفى فى حين أن الاسلام قد حل مشكلة الفقر باسترداد أموالهم من الاغنياء . مهمة العلماء محاسبة حكام الجور وكل حكومة منحرفة عن تعاليم الاسلام ، يأخذونهم بما كانوا يكسبون ، ويحاسبونهم على أموال المسلمين فيم أنفقوها ، ويحاسبونهم على ما بددوه من الاموال فى حفلات التتويج ومظاهر البذخ والترف والنعيم من أجل الشهرة والصيت . ان الفساق هم القضاة الذين ينصبهم ولاة الامر لتبرير أعمالهم فى الجور والظلم ، ولكن الاسلام قد حرم التحاكم الى حكام الجور . وبالتالى تكون مهمة المسلمين ترك مراجعة

السلطات الجائرة واجهزتها القضائية حتى تتعطل دوائرهم اذا مجرهـا الناس ويفتح السبيل أمام الائمة الى العصيان المدنى • وتكون مهمة العلماء المتكاتف معا للوقوف أمام أهل الطغيان يدا واحدة ، واصدار الفتاوى دفاعا عن مصالح الناس واستردادا لحقوقهم كما فعل المرحوم الميرزا الشيرازى بفتواه الشهيرة بتحريم التمباك ، عملا بولاية الفقيه ، كما افتى المرحوم ميرزا محمد تقى الشيرازى باعلان الجهاد •

٥ ـ سبيل النضال من أجل تشكيل حكومة اسلامية :

ولا يكفى التاكيد على ضرورة الحكومة الاسلامية وبيان خصائص الحكم الاسلامى بل ان تشكيل هذه الحكومة واقامة هذا النظام جزء منهـا • ولتحقيق ذلك يورد الامام الخمينى عدة سبل للنضال نوجزها فى ست :

أ ـ توعية الناس بمخاطر الاستعمار والصهيونية ومحاولاتها المقصودة لتشويه الاسلام • اذ تتعاون كل قوى الاستعمار وعملائه من الحكام الخونة والصهيونية والمادية الملحدة على تحريف الاسلام وتشويهه • كما يتعاون المستشرقون مع المؤسسات الاستعمارية على تحريف حقائق الاسلام وتضليل الشباب وتنصيرهم أو تهويدهم وافسادهم لنبذ الدين والوقوع فى اللامبالاة التامة : فكثرت مراكز التبشير الكنسى والصهيونى والبهائى فى العالم الاسلامى تحت أعين المسلمين وبصرهم • لابد اذن من توعية الناس لدحض هذه الافتراءات وتوضيح الاسلام وتقريب احكامه الى الافهام ، واعطاء النماذج من الحكومة الاسلامية الاولى حيث ساوى الحاكم المحكوم فى السلطة وفى المال • أن أول شرط لثورة الجماهير هو فكها من عقالها ، وعقالها تزييف وعيها وتشويه ثقافتها واغترابها عن تراثها وحضارتها • فالجماهير الاسلامية لا تتحرك الا بالعقائد ، والعقائد افكار لم تستنر بعد ولم تحرك بعد ادراكا عقليا أو ادراكا خشيا ولم تتحول بعد الى بواعث للسلوك وغايات للتحقيق •

ب ـ الاجتماع من أجل نشر المبادىء ، وما اسهل ذلك فى الاسلام ،

فالهدف من العبادات هو تحقيق خدمات اجتماعية وسياسية مثل صلاة الجماعة • وتنفق الدول غير الاسلامية الملايين لعمل مثل هذه الاجتماعات ، وهى موجودة لدينا فى الجمع والاعياد والحج • ويجتمع المسلمون لدينهم ولكن للاسف لا يستفيدون من هذا الجمع نظرا لان الامام مغترب عن واقعه ، لا يعلم الا أحكام الحيض والنفاس أو مشترى من أولى الامر او يخشاه ويرهبه ، وبالتلى تضيع على المسلمين فرصة الاجتماع لتدارس شئونهم وحل مشاكلهم وتحرير أراضيهم فى فلسطين وغيرها • ليس الهدف من الخطب هو التكفير بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب والجنة والنار ، والدعاء والابتهالات من القعدة والعاجزين بل دعوة الى الجهاد وأخذ حقوق الفقراء من الاغنياء ، وتقوية المستضعفين ومواجهة الصهيونية والاستعمار فالجامع حزب ، والصلاة خلية ، والامام مرشد للشعب ، والدين سياسة • ان يوم عاشوراء ليس يوما للحزن والبكاء بل يوم لحث الجماهير المظلومة على الكفاح ، فالناس ناقمة والعالم حصن الاسلام • مصائب المسلمين اليوم ليست فى أحداث تاريخية مضت ، مقتل امام أو استشهاد فقيه بل هى مصائب البؤس والفقر والقهر والتسلط • ان يوم عاشوراء هو يوم تفجير الغضب لدى الجماهير واعلان الجهاد وبداية التحرر والاستعداد للتضحية والفداء •

جـ - المقاومة على الامد الطويل كما هو الحال فى المذهب الشيعى الذى لم يتوقف عن نضال الظلم والطغيان منذ مقتل على واستشهاد الحسين ، سيد الشهداء • ان الثورة فى حاجة الى زمان ، فهى حركة تاريخ تقوم بها الجماهير ، وذلك لا يحدث فى يوم وليلة • فالعبرة بالبداية وحتما ستأتى النهاية • فالتخطيط للثورة ضرورة حتى تتوالى خطواتها ، ولا عبرة بتقية ، فقد يتم التخطيط فى السجون والمعتقلات • ان الثورة مهمة عدة أجيال وليست من عمل جيل واحد • فثورة الدين قام بها الانبياء ، وثورة الشيعة قام بها الائمة وقد تحقق ذلك فى الثورة الاسلامية الكبرى بايران والتخطيط للثورة فى مرحلتها الاخيرة منذ الانقلاب العسكرى ضد مصدق فى ١٩٥٤ حتى انتصارها أخيرا فى ١٩٧٩ بعد ربع قرن من الزمان •

د - اصلاح الهيئات وتطهير المراكز الدينية وذلك لان قادة الثورة هم رجال الدين ، فهم من الشعب ، ويعيشون وسط الجماهير في الاسواق ، تثق بهم الناس وتطيعهم بشرط أهلية العلماء والفقهاء الى هذه المهمة وقدرتهم على تحقيق المسئولية ، وذلك يستلزم ضرورة تكامل نشاطهم التعليمي ومعرفتهم بالمعقول والمنقول والمعاش والاعتماد على النفس والثقة بها ، وتجنيد الجماهير وتطهير نفوسهم من براثن الاستعمار وزيف الصهيونية ، وبالتالى وجب أيضا تخليص المراكز الدينية منفقهاء السلاطين وأعوان الحكام الجائرين واسقاط التقية ، فلا تقية فى ظلم أو طغيان والا كانت خوفا ورهبة من السلطان أو وهنا وضعفا من الفقيه .

كما وجب طرد فقهاء السلاطين الذين باعوا دينهم بدنياهم وتعريتهم وفضح أعمالهم . ويأمر الامام الخميني « اطردوا فقهاء السلاطين » فهم ليسوا بفقهاء بل البستهم دوائر الامن والاستخبارات العمائم ، وقد ورد فى الحديث « فاخشوهم على دينكم » . كماو جب اصلاح المتقدسين أو كما نقول اصلاح الصوفية الذين يوهمون الشعب ويخدعونه بالافكار البلهاء وبالخزعبلات التى يود الاعداء نشرها بينهم . فالمتقدسون اعداء الامة من الداخل كما ان المستعمرين والصهاينة اعداؤها من الخارج ، يدعون الى الكسل والتخاذل ، ويغرقون أنفسهم فى المواجد والاذكار والخطر الصهيوني والانكلواميريكى يمد الكيان الاسرائيلى بمقومات الحياة . هم أقرب الى النصارى فى بحثهم من الاقانيم والتثليث منهم الى المسلمين الذين يضيئون أنفسهم بنور العقل .

هـ - ازالة آثار العدوان الاستعمارى الفكرى والخلقى ، وهو ما علق بنفوس المسلمين وعقولهم وتراكم عدة أجيال . فمنذ بداية الاستعمار الغربى على العالم الاسلامى - وهو ما سموه بالكشوف الجغرافية لتحويط العالم الاسلامى من خارجه بعد فشل غزواته له من الداخل اثناء الحروب الصليبية - واجهزة التربية والجمعيات العلمية تبث فى المسلمين

السموم . وتحول الاستعمار العسكرى والاقتصادى الى استعمار ثقافى وحضارى . فنشأ من بين المسلمين فريق مستغرب مقلد يأخذ بحضارة الغرب ، ونشأ لدى فريق آخر من المسلمين احساس بالنقص والصغر بالنسبة للغرب فتكاسل وتخاذل . والحقيقة أن حضارة الغرب ما هى الا تراكم حضارى اسلامى . فالاسلام دين الحرية والاستقلال ، ورسالة الجهاد والحق والعدل ، وكل ما يشد المسلمين فى الغرب على مستوى المبادىء لا الوقائع موجود فى الاسلام من علم وعقل وحرية ومساواة . ويوجه الخمينى رسالته الى شباب الاسلام القادر على التخلص من الاغتراب الحضارى ونبذ الكسل والخمول ، وحقه على تحمل مسئولياته والا يستجيب لمقولة الاستعمار وعملائه بفصل الدين عن السياسة .

و ـ تدمير الحكومات الجائرة ، وذلك لاقامة الحكومة الاسلامية العادلة . ويتم ذلك « بمقاطعة المؤسسات التابعة للحكومات الجائرة » وترك التعاون معها ، والابتعاد عن كل عمل يعود نفعه عليهم ، وتأسيس مؤسسات قضائية ومالية واقتصادية وثقافية وسياسية جديدة . ان محاربة الطاغوت واجب اسلامى ، ومقاومةسلاطين الجور امر الهى . لم يقم الائمة بذلك وحدهم بل تابعهم الفقهاء والعلماء وانضم اليهم الطلاب والاساتذة من شباب الجامعات « فالجامعيون أشد الناس عداوة للتسلط والعمالة والخيانة وعمليات نهب الخيرات والثروات وأكل السحت وسيجدون فى الاسلام ما يستميلونه الى جانبه » . وعلى هذا النحو تقوم الوحدة بين العلماء ،بين رجال الدين ورجال العلم ، بين الائمة والعلماء ، بين الفقهاء والاساتذة . فالثورة الاسلامية هى ثورة العقل والعلم ضد حكومة الجهل والطاغوت . العلماء ورثة الانبياء ، والائمة امناء الرسل ، والفقهاء حصون الامة .

٦ ـ تطوير واستكمال :

ان الثورة الاسلامية الكبرى فى ايران ليست ثورة المذهب الشيعى ولكنها ثورة الاسلام الذى لا يفرق بين شيعى وسنى ، هذه التفرقة التى لعب عليها الاستعمار والصهيونية لفرقت المسلمين وغرزت بينهم الاحقاد

على مر السنين • فالامام الخمينى مثل الافغانى ، يقود ثورة اسلامية تتجاوز حدود المذاهب والاختلافات المذهبية ، وتعود الى ثورية الاسلام الاولى والكامنة فى أصوله فى القرآن والحديث • وكتاب « الحكومة الاسلامية » لا يبدو فيه المذهب الشيعى المتوارث والمعروض فى كتب العقائد السنية من قول بألوهية الامام وعصمته وتقيته وتعيينه وطاعته بل يعرض الحكومة الاسلامية للمسلمين بصرف النظر عن مذهبهم • فلا فرق بين الشيعة والسنة فى العصر الحاضر فى ضرورة الحكومة الاسلامية فى مواجهة الاستعمار والصهيونية ونهب ثروات المسلمين والحكام الجائرين • فولاية الفقيه ولاية اعتبارية لا تنطبق على أحد بعينه ، باسمه أو برسمه وهى وظيفة سياسية يقوم بها الفقيه العالم العدل وليس فقيه السلطان ، لا يشترط فيه التعيين أو العصمة ، وليس الها ولا تحل فيه روح الائمة • لم يرث علما ولا يورث علماً الهيا لا يعلمه احد • الائمة خلفاء الرسل بعلمهم وفقههم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فهم فقهاء مثل باقى الفقهاء ، امناء الرسل وحصون الامة •

ولاية الفقيه مهمة عملية لا نظرية ، لتنفيذ الاحكام أساسا وليس فقط لبيانها واستنباطها من الاصول • فولاية الفقيه تجمع بين الخليفة والامام فى استنباط الاحكام وتنفيذها • لا شىء خفى لا يعلمه احد بل ان الامام يقسم بان جميع ما يحتاج اليه الناس موجود ولا يصح انتظار عودة الامام المنتظر حتى يقوم الشرع وتنفذ الاحكام • ولا تقية حين يعم البؤس والفقر • فأولو الامر منا فى الآية المشهورة « وأطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » ليسوا هم حكام الجور ولا الائمة الغائبون بل هم الفقهاء الذين يقومون بولايتهم فى العصر الحاضر فقهاء الامة وحصونها لافقهاء السلطان وتابعيه • الثورة الاسلامية فى ايران ثورة المسلمين جميعا داخل ايران وخارجه لا ثورة شيعة دون سنة ، لا ثورة الامامية دون الاخوان بالرغم من تشويه أجهزة الاعلام لها وحصرها من أجل حصارها ومنع انتشارها (١١) •

---

(١١) انظر مقالنا : الثورة الإيرانية والثورة العربية •

ومع ذلك يمكن استدراك بعض الامور « فى الحكومة الاسلامية » منهجا وتطبيقا من أجل تطويرها واستكمالها تأكيدا لتعاون الفقهاء فيما بينهم والاسترشاد والمتبادل بينهم ٠

أ - بالرغم من اعتماد الامام الخمينى على المعقول الا أنه اعتمد كثيرا على المنقول وبالرغم من دخوله مباشرة فى مآسى العصر الاساسية الاستعمار والصهيونية والطغيان والفقر الا أنه يعتمد فى تبرير الحكومة الاسلامية وضرورتها وفى تأسيس النظم الاسلامية على الرواية ٠ والمنهج النصى له عيوب كثيرة منها : الرجوع الى الخلافات القديمة بين السنة والشيعة فى تضعيف الروايات ووضع الاحاديث وتعارضها والترجيح بينها وتضييع المشكلة الرئيسية فى الخلافات بين الرواة تعديلا أو تجريحا ٠ ومنها أيضا اضعاف المعقول الذى يقبله كل الناس من جميع المذاهب والذى لا يمكن الخلاف حوله خاصة اذا علمنا أن العقل اساس النقل عند السنة والشيعة ، فضرورة تشكيل الحكومة الاسلامية لاتحتاج الى الاعتماد على الاحاديث كما أن ولاية الفقيه لا يحتاج اثباتها الى الاعتماد على الاحاديث وكلاهما ثابت بالقرآن حتى لا يأتى أحد فيضعف الاحاديث أو يشكك فيها ٠

ب - بالرغم من أن ولاية الفقيه أمر وضعى وأن الشريعة الاسلامية كلها شريعة وضعية اذ أنها تقوم على المحافظة على الضروريات الخمس : الدين ، والحياة ، والعقل ، والعرض ، والمال ، وبالرغم من مواجهة الفقيه لمشاكل العصر الاساسية وهى مشاكل اجتماعية وسياسية واقتصادية الا أن الحكومة الاسلامية لم تخل من بعض الجوانب الميتافيزيقية التى قد لا يؤمن بها كل الناس ، وبالتالى استمرار بعض الجوانب من المذهب الشيعى الفلسفى القديم ٠ فولاية الفقيه بالرغم من أنها اعتبارية أى وظيفة سياسية عملية الا انها أيضا ولاية تكوينية أى لها أساس نظرى ميتافيزيقى خالص فالخلافة التكوينية تخضع لولايتها جميع ذرات الكون ، لا يبلغ مقام الامام ملك مقرب ولا نبى مرسل ٠ كان

الرسول والائمة قبل العالم انوار محدقين بالعرش (١٢) » هنا تبدو ولاية الفقيه اسطورة أكثر منها نظاما سياسيا وضعيا بالرغم من تاكيد الامام الخميني أن ولاية الفقيه « فكرة علمية واضحة قد لا تحتاج الى برهان »(١٣) ٠

جـ ـ يركز الامام الخميني على الحكومة الاسلامية اكثر من تركيزه على النظم الاسلامية أو الشعوب الاسلامية أى انه يركز على القمة أكثر من تركيزه على القاعدة ٠ فالتغير الاجتماعي يبدأ بتغيير السلطة السياسية في البلاد وليس قبلها ٠ هذا المنهج الانقلابي الذى ساد العالم الاسلامي منذ الافغاني حتى سيد قطب ادى الى حركات اسلامية قوية ولا شك انتهت بصدامها مع السلطة القائمة فتراجعت وخسرت الدعوة الاسلامية عدة أجيال ٠ فلولا الامام لتحول الناس الى وحوش ضارية ولتعدوا على حدود الله ، ولسعوا وراء اللذة الشخصية ونشروا الفساد في الارض وهضموا حقوق الضعفاء ٠ فالامام يمنع الظلم والتجاوز والفساد ، ويتحمل الامانة ، ويهدى الناس الى صراط الحق ، ويبطل بدع الملحدين والمعاندين ٠ يمنع الفساد في الارض ويحمى المسلمين من نفوذ الاعداء وتدخلهم في شئونهم ٠ فكأن الطبيعة البشرية شر ، والناس اشرار بطبيعتهم في حاجة الى امام أو امير يكبح جماحهم ويجمعهم على الخير ، وهى نظرية شبيهة بنظريات سياسية مشابهة في الغرب (١٤) فالتحول الاجتماعي لا يتم الا من خلال السلطة السياسية ، وهو ما حدث في ثوراتنا العربية الاخيرة او أن الاولوية للسياسة كما حدث في الثورة الصينية ٠ وقد يكون من الاجدى التركيز على دور تنوير الشعوب الاسلامية وتوعيتها بحقوقها وهو شرط قيام الحكومة الاسلامية والسبيل الى النضال من اجلها ٠

---

(١٢) الحكومة الاسلامية ص ٥٢ ـ ٥٣ ٠

(١٣) المصدر السابق ص ٧ ٠

(١٤) اشهرها : ميكيافيللي في « الامير » وهوبز في « التنين » ٠

د ـ ما زالت النظرية السائدة فى الاسلام السياسى هى نظرية الحاكمية لله عند المودودى وسيد قطب • وهى نظرية لها فائدتها من الناحية السلبية فحسب وهى انتزاع الحاكمية من البشر ولكن تنقصها بعض الجوانب الايجابية فى الاسس الوضعية للحكم أى البناء الاجتماعى والاقتصادى • صحيح ان الامام الخمينى يركز على الثورة السياسية ثورة الجماهير ضد الطغيان فى الحكم والثورة الاجتماعية ، ثورة الفقراء ضد الاغنياء ولكنه لم يعط نظريات تفصيلية عن البناء الاجتماعى ، والتركيب الطبقى ، وملكية وسائل الانتاج ، وسياسة الاجور ، وعلاقة الفلاح بالارض ، والعامل بالمصنع الا من خلال بعض النظريات الشرعية مثل تحريم الربا واقامة بنوك بلا فوائد وبعض القرارات الوطنية العامة مثل تاميم البنوك وشركات التامين • كما يغيب الاحصاء والبيانات عن توزيع الثروة فى المجتمع الاسلامى بايران أو المجتمع الاسلامى العام حتى تكون لدى الجماهير والحكومات صورة دقيقة لواقع العالم الاسلامى • فالحاكمية اذن فى حاجة الى تطوير واعادة صياغة كنظرية اجتماعية واقتصادية لمجتمع اسلامى معين للامة الاسلامية كلها حتى تتحول من الشعار الى التطبيق•

هـ ـ بالرغم من حديث الامام الخمينى عن الثورة ضد الطغيان السياسى والطغيان الاجتماعى ، والتركيز على ثورة المضطهدين وثورة الجياع الا ان النظرة الاخلاقية التقليدية لم تختف تماما • فنحن أقوياء بروحنا وأخلاقنا والغرب تعيس وشقى لضياع روحه وانحلال أخلاقياته • مقياس بعدنا عن الاسلام هو مقدار ما يتفشى فينا من فحش وفجور وخمر وزنا واقترابنا من الصلاة والصيام ، وكأن الاسلام السياسى مازال قائما على الاسلام الاخلاقى وليس على برنامج سياسى ونظريات فى الاقتصاد والسياسة والاجتماع • ولقد ظهر ذلك ابان الثورة الايرانية فى اصدار قرارات بشأن الحجاب ، والنوادى الليلية ، وشرب الخمور ، وارتكاب الزنا ، وتقديم العاهرات الى المحاكمة والحكم عليهم بالاعدام ، وما زالت مشاكل الفقر والبطالة وتأميم النفط وحقوق القوميات داخل الامة الاسلامية ، وتحرير فلسطين •

و - بالرغم من اهمية التأكيد على الهوية الاسلامية ورفض ذوبان الشخصية الاسلامية ، ونقد « الاستغراب » الا ان رفض كل ما هو غربي مثل النظم البرلمانية والمجالس النيابية والاتجاهات الديموقراطية والحركات الليبرالية تجعل الثورة الاسلامية تنتقل من الفعل الى رد الفعل ، من الاستعمار الى معاداة كل ما هو غربى ، فى حين أن العقلانية والعلمانية ، والعلمية ، والديموقراطية ، والطبيعية ، والانسانية ، والتقدمية كلها اتجاهات اسلامية اذا ما أعيد بناؤها وتوسيعها خارج النطاق المحلى الاوروبى ، وارجاعها الى مصادرها الاسلامية الاولى التى أخذ منها الغرب فى العصر الوسيط وفى عصور الاصلاح الدينى والنهضة والعصور الحديثة • وبالتالى يمكن التلاحم مع الثورة فى كل مكان سواء فى الفكر والثقافة أو الواقع العملى ، ثورة العقل فى الغرب ، وثورة القساوسة فى أمريكا اللاتينية (١٥) •

حسن حنفى

---

(١٥) انظر مقالنا : كاميلو توريز ، القديس الثائر ، قضايا معاصرة = الجزء الاول ، فكرنا العربى المعاصر ص ٢٨١ - ٣١٨ ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٧ •

الفهـــرس

صفحة

مقدمـــة :

(١) الاســلام السياسى :
٢ ــ الاستعمار والصهيونيــة :
٣ ــ ضرورة تشــكيل الحكومة الاسلامية :
٤ ــ نظــام الحكم الاســلامى :
٥ ــ سبيل النضــال من أجل تشكيل حكومة اسلامية :
٦ ــ تطويــر واســتكمال :

الحكومــة الاســلامية ١
مقدمـــة ٧

أولا : أدلة ضرورة تشكيل الحكومة الاسلامية : ٢٣
١ ــ ضرورة المؤسســات التنفيذية ٢٣
٢ ــ ضرورة استمرار تنفيذ الاحـكام ٢٥
٣ ــ حقيقــة قوانين الاســلام :
أ ــ الاحــكام الماليــة ٢٩
ب ــ أحــكام الدفـــاع
٤ ــ ضرورة الثــورة السياســية ٣٣
٥ ــ ضرورة الوحدة الاسلامية ٣٤
٦ ــ ضرورة انقــاذ المظلومين والمحرومين ٣٦

ثانيا : نظام الحكم الاسلامى : ٤١
١ ــ امتيازه عن ســائر الانظمة السياسية ٤١
٢ ــ شروط الحــاكــم ٤٥
٣ ــ الحاكــم فى زمان الغيبــة ٤٧

٤ ـ ولايـــة الفقيـــه ٤٩

٥ ـ الولايــة الاعتباريــة ٤٩

٦ ـ الولايــة التكوينيــة ٥٢

٧ ـ الحكومة وسيلة لتحقيق الاهـداف السـامية ٥٣

٨ ـ خلفـاء الرسـول هـم الفقهـاء العـدول ٥٦

٩ ـ الفقهـــاء امنـاء الرســـل ٦٧

١٠ ـ اهـــداف الرســـالات ٦٧

١١ ـ الفقهــاء امناء الرسل فى قيــادة الجيوش وادارة
المجتمع والدفاع عن الامة والقضاء بين الناس ٦٩

١٢ ـ الحكومة الملتزمة بالقانـون ٧٠

١٣ ـ بمن تنــاط مهمــة القضــاء ؟ ٧٣

١٤ ـ القضــاء من شـئون الفقيــه العــادل ٧٤

١٥ ـ من المرجع فى حوادث الحياة ؟ ٧٦

١٦ ـ تحريـم التحاكـم الى حكام الجـور ٨٧

١٧ ـ علماء الاســلام هم مرجع الامـور ٨٨

١٨ ـ العلماء منصوبون للحـــكم ٨٨

١٩ ـ هـل عـزل العلماء من منصب الحـكم ؟ ٩٠

٢٠ ـ منصب العلماء محفـوظ دائمـا ٩١

ثالثا : سبيل النضال من أجل تشكيل حكومة اسلامية : ١١٩

١ ـ نشر الوعــى الاســلامى ١١٩

٢ ـ الاجتماع من أجـل نشر المبـادىء ١٢٤

٣ ـ عاشـوراء جـديد ١٢٧

٤ ـ المقاومة على المـدى الطويـل ١٢٨

٥ ـ اصــلاح الهيئــات الدينيــة ١٣٢

صفحة

٦ ـ ازالة آثار العدوان الاستعماري الفكري والخلقي ١٣٢
٧ ـ اصلاح المتقدسين ١٣٩
٨ ـ تطهير المراكز الدينية ١٤١
٩ ـ اطردوا فقهاء السلاطين ١٤٣
١٠ ـ تدمير الحكومات الجائرة ١٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الملوك إذا دخلوا قــرية أفســدوها وجعلوا أعــزة أهلهـا أذلــة وكذلك يفعلون .

" صدق الله العظيم "

النمــل ٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على خير خلقه

محمد وآله اجمعين

دروس فقهيه

القاها سماحة الامام الخميني المرجع الاعلى للشيعة
على طلاب علوم الدين في النجف الاشرف
تحت عنوان « ولايــة الفقيــه »

١٣ ذيقعده ـــ ١ ذيحجه ١٣٨٩

مقدمة

ولاية الفقيه فكرة علمية واضحة ، قد لا تحتاج الى برهان ، بمعنى ان من عرف الاسلام ، احكاما ؛ وعقائد ، يرى بداهتها . ولكن وضع المجتمع الاسلامي ، ووضع مجامعنا العلمية على وجه الخصوص ، يضع هذا الموضوع بعيدا عن الاذهان ، حتى لقد عاد اليوم بحاجة الى البرهان .

ابتليت الحركة الاسلامية من اول امرها باليهود ، حينما بدأوا نشاطهم المضاد ، بالتشويه لسمعة الاسلام ، والوقيعة فيه ، والافتراء عليه ، واستمر ذلك الى يومنا هذا . ثم كان دور كبير لفئات يمكن ان تعتبر اشد بأسا من ابليس وجنوده . وقد برز ذلك الدور في النشاط الاستعماري الذي يعود تاريخه الى ما قبل ثلاثة قرون . وقد وجد المستعمرون في العالم الاسلامي ضالتهم المنشودة ، وبغية الوصول الى مطامعهم الاستعمارية سعوا في ايجاد ظروف ملائمة تنتهي بالاسلام الى العدم . ولم يكونوا يقصدون الى تنصير المسلمين بعد اخراجهم من الاسلام ، فهم لا يؤمنون بأي منهما ، بل ارادوا السيطرة والنفوذ ، لانهم ادركوا

دائما وفي أثناء الحروب الصليبية ، ان اكبـر ما يمنعهم من نيل مآربهم ، ويضع خططهم السياسية على شفا جرف هار ــ هــو الاسلام : بأحكامه ، وعقائده ، وبما يملك الناس به من ايمان • لاجل هذا تحاملوا عليه وارادوا به كيدا • وتعاونت على ذلك أيدي المبشرين ، والمستشرقين ، ووسائل الاعلام ، وكلها تعمل في خدمة الدول الاستعمارية ، من اجل تحريف حقائق الاسلام ، بشكل جعل كثيرا من الناس ، والمثقفين منهم بشكــل خاص ، بعيدين عن الاسلام ، ولا يكادون يهتدون اليه سبيلا •

فالاسلام هو دين المجاهدين الذين يريدون الحق والعدل ، دين الذين يطالبون بالحرية والاستقلال ، والذين لا يريدون ان يجعلوا للكافرين على المؤمنين سبيلا •

ولكن الاعداء أظهروا الاسلام بغير هذا المظهر • فقد رسموا له صورة مشوهة في أذهان العامة من الناس ، وغرسوها حتى في المجامع العلمية ، وكان هدفهم من وراء ذلــك اخماد جذوته ، وتضييع طابعه الثوري الحيوي ، حتى لا يفكــر المسلمون في السعي لتحرير انفسهم ، وتنفيذ احكام دينهم كلها ، عن طريــق تأسيس حكومة تضمن لهم سعادتهم في ظل حياة انسانية كريمة •

فقالوا عن الاسلام : ان لا علاقة له بتنظيم الحياة والمجتمع ، أو تأسيس حكومة مــن أي نوع ، بل هو يعنى فقط بأحكــام الحيض والنفاس ، وقد تكون فيه اخلاقيات ، ولا يملك بعد ذلك

من امر الحياة وتنظيم المجتمع شيئا . ومن المؤسف ان تكون لهذا كله آثاره السيئة ليس في نفوس عامة الناس فحسب ، بل لدى الجامعيين ، وطلبة العلوم الدينية ايضا . فهم يخطئون فهمه ، ويجهلونه ، حتى لقد عاد بينهم غريبا ، كما يبدو الغرباء من الناس ، وقد غدا صعبا على الداعية المسلم ان يعرف الناس بالاسلام ؛ وفي مقابله يقف صف من عملاء الاستعمار ، ليأخذوا عليه الآفاق عجيجا وضجيجا .

ولكي نميز بين واقع الاسلام ، وبين ما عرفه عامة الناس عنه ، أحب ان اوجه انظاركم الى التفاوت بين القرآن وكتب الحديث من جهة ، وبين الرسائل العملية من جهة اخرى . القرآن ، وكتب الحديث ، وهما من اهم مصادر التشريع يمتازان عن الرسائل التي كتبها المجتهدون والفقهاء امتيازا شديدا ، لما في القرآن وكتب الحديث من الشمول لجميع جوانب الحياة ، فالآيات ذات العلاقة بشؤون المجتمع تزيد اضعافا مضاعفة عن الآيات ذات العلاقة بالعبادات خاصة . وفي أي كتاب من كتب الحديث الموسعة لا تكاد تجد أكثر من ثلاثة ابواب ، او اربعة تعنى بتنظيم عبادات الانسان ، وعلاقاته بربه ، وابواب يسيرة اخرى تدور في الاخلاق ، وما سوى ذلك فذو علاقة قوية بالاجتماع ، والاقتصاد ، وحقوق الانسان ، والتدبير ، وسياسة المجتمعات .

أنتم ـ الشباب ـ جنود الاسلام • عليكم ان تتعمقوا فيما أوجزه من الحديث ، وتعرفوا الناس طوال حياتكم بأنظمة الاسلام وقوانينه ، بكل وسيلة ميسورة : كتابة ، وخطابة ، وعملا • علموا الناس بما احاط بالاسلام من اول امره من بلايا ، ومصائب، واعداء • لا تكتموا الناس ما تعلمون ، ولا تدعوا الناس يتصورون ان الاسلام كالمسيحية الحالية ، وان لا فرق بين المسجد والكنيسة ، وان الاسلام لا يملك اكثر من تنظيم علاقة الفرد بربه •

في الوقت الذي كان يسيطر فيه الظلام على بلاد الغرب ، وكان الهنود الحمر يقطنون امريكا ، وكان في الامبراطورية الرومانية والفارسية حكم مطلق يمارس فيه التسلط والتمييز العنصري ، وتستخدم فيه القوة الى مدى بعيد من غير اهتمام برأي الشعب ، او بالقانون ـ آنذاك وضع الله قوانين صدع بها النبي الاعظم محمد (ص) ليولد في ظلها الانسان • لكل شيء آداب وقوانين • ومن قبل تكون الانسان ، والى حين نزوله في حفرته ، وضعت له قوانين تحكمه • ورسمت العلاقات الاجتماعية، ونظمت الحكومة ، الى جانب ما رسم من وظائف العبادات • والحقوق في الاسلام ذات مستوى عال ، ومتكامل ، وشامل • وكثيرا ما اقتبس الحقوقيون من احكام الاسلام وانظمته ، في معاملاته ، وحدوده ، وقصاصه ، وقضائه ، وتنظيمه العلاقات بين الدول والشعوب ، وقواعد الحرب والسلم ، وحقوق الناس •

وهكذا يكون الاسلام قد عالج كل موضوع في الحياة ، واعطى فيه حكمه . ولكن الاجانب وسوسوا في صدور الناس والمثقفين منهم خاصة : « ان الاسلام لا يملك شيئا . الاسلام عبارة عن مجموعة احكـام الحيض والنفاس . طلبـة العلوم الدينيـة لا يتجاوزون في تخصصهم هذه المواضيع » . صحيح ان بعض الطلبة لا يهتم بأكثر من هذا ، وهم مقصرون ، وفي هذا ما يعين الاعداء احيانا على نيل مقاصدهم . وفي هذا ما يدعو الى ابتهاج المستعمرين الذين عملوا منـذ مئات السنين علـى غرس بذور الاهمال في مجامعنا العلمية ، وصولا الى اهدافهم فينـا ، وفي ثرواتنا وخيرات بلادنا .

احيانا يوسوسون الى الناس : « ان الاسـلام ناقص . احكامه في القضاء ليست كما ينبغي » . وامعانا في خداع الناس وتضليلهم سعى عملاء الانكليز بتعليم من سادتهم الى استيراد القوانين الوضعية الاجنبية . وذلك في اعقاب الثورة السياسية المشهورة واقامة حكم دستوري في ايران . فحينما ارادوا وضع القانون الاساسي ــ اي الدستور ــ للبلاد ، عمد هؤلاء العملاء الى القوانين البلجيكية ، التي استعاروها من السفارة البلجيكية ، وقام عدة منهم ــ ولا اريد تسميتهم ــ باستنساخها ، مع ترميم نواقصها من مجموعة القوانين الفرنسية والانكليزية ، واضافوا اليه بعض الاحكام الاسلامية تمويها وخداعا . ان البنود الخاصة بتحديد نظام الحكم في الدستور ، والتي تقر الملوكية والحكم

الوراثي كنظام حكم للبلاد ، مستوردة من انكلترا وبلجيكا ، ومأخوذة من دساتير الدول الاوروبية ، وهي غريبة عن الاسلام ناقضة لـــه •

هل توجد في الاسلام ملوكية او حكم وراثي او ولاية عهد ؟! كيف يكون هذا في الاسلام ، ونحن نعلم ان النظام الملكي يناقض الحكم الاسلامي ونظامه السياسي • لقد ابطل الاسلام الملكية وولاية العهد ، واعتبر في اوائل ظهوره جميع انظمة السلاطين في ايران ومصر واليمن والروم ، غير شرعية • وكان رسول الله (ص) قد كتب الى ملك الروم (هرقليس) وملك فارس : يدعوهم الى الكف عن استعباد الناس ، ويدعوهم فيها الى ارسال الناس على سجاياهم ، ليعبدوا الله وحده ، لان له السلطان وحده • ان الملكية وولاية العهد هو اسلوب الحكومة المشؤوم الباطل الذي نهض سيد الشهداء الحسين (ع) لمحاربته والقضاء عليه • واباء للضيم ، واستنكافا من الخنوع لولاية يزيد وملكه ، قام بثورته التاريخية ، ودعا المسلمين جميعا الى مثل ذلك • فليس في الاسلام نظام ملكي وراثي • واذا كان هذا نقصا في اعتبارهم ، فليقولوا : ان الاسلام ناقص • يضاف الى ذلك النقص : ان الاسلام غفل عـــن تنظيم تعاطي الربا ، واهمل تنظيم معاقرة الخمور ، وتنظيم الفحشـــاء والمنكر ، ومن اجل سد هذه النواقص ، وملء هذه الفراغات ، فقد اضطرت السلطات الحاكمة ربيبـــة الاستعمار الى تشريـــع قوانين تنظم تلك الامور ، مقتبسة ذلك من انكلترا ، وفرنسا ،

وبلجيكا ، وامريكا . ونحن نعلم ان ذلك كله حرام في شريعتنا ، وان من مفاخر اسلامنا ان تعدم فيه تنظيمات خاصة بهذه الامور .

وقد بذل الاستعمار البريطاني في اوائل ما يسمى بالعهد الدستوري جهودا كان الهدف منها امران : احدهما دحر النفوذ الروسي في ايران ، وثانيهما اخراج الاسلام وطرده من ميدان التطبيق ، واستيراد القوانين الغربيـة ، واحلالها محـل قوانين الاسلام .

وقد سببت هذه القوانين الاجنبية للمجتمع المسلم مشاكل جمة . فذوو الخبرة من الحقوقيين متذمرون منها . وكل مـن ألمت به مشكلة قضائية ، او حقوقيـة ، في ايران ، او الـدول المشابهة ، لا بد ان يقضي عمرا مديدا ، من اجل كسبها . قال لي احد مهرة المحامين ، وهو يحاورني : انا استطيع ان اعالج قضية بين متخاصمين في المحاكم طيلة عمري ، ومع ذلك فقد يغلب على ظني ان ابني سيخلفني فيها من بعدي . هذه حقيقة موجودة ، الان ، يستثنى من ذلك ما يكسبه ذوو النفوذ من قضاياهم كسبا سريعا غير مشروع ، بما يجيدونه من المكر والاحتيال والرشوة واساليب الغش والخداع . ونحن نرى ان القوانين القضائيـة اليوم لا تريد بالناس الا العسر . والقضية التي كان يبت فيهـا قاضي الشرع في يومين او ثلاثة ، تستغرق اليوم عشرين عاما . وفي هذه المدة يشيب الشباب من كثرة مراجعة دوائر القضـاء

صباحا ومساء والدوران في اروقتها بغير امل ، كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها .

يكتبون احيانا في كتبهم وصحفهم : احكام الاسلام قاسية ذات خشونة . حتى لقد تجرأ احدهم بكل وقاحة ، وقال : « خشونة هذه الاحكام مستمدة من خشونة البداوة ، خشونة العرب هي التي سببت خشونة هذه الاحكام » .

انا اعجب لهؤلاء كيف يفكرون ؟ هم ينفذون حكم الاعدام بحجة القانون في عدة اشخاص لتهريبهم ١٠ غم هيروئين . وقد بلغني انهم اعدموا قبل حين ، عشرة اشخاص ، ثم واحدا آخر ، من اجل تهريب ١٠ غم هيروئين . حينما يشرعون هذه القوانين اللاانسانية بحجة منع الفساد ، لا يرون فيها خشونة . انا لا ابيح التعامل بالهيروئين ، ولكني انكر ان يكون الاعدام جزاء تعاطيه . بل لا بد من مكافحة ذلك ؛ ولكن على اساس مناسب لحجم الجريمة .

جلد شارب الخمر ٨٠ سوطا فيه خشونة ، واعدام الاشخاص بسبب تهريب ١٠ غم هيروئين لا خشونة فيه ! في حين ان اكثر المفاسد الاجتماعية انما يسببها الخمر . حوادث الاصطدام في الطرقات ، وحوادث الانتحار ، وحتى الادمان على الهيروئين — كما يقول البعض — من عواقب السكر ومعاقرة الخمور . ومع ذلك فهم لا يحظرون الخمر ، لان الغرب قد اباح هذا ،

ولهذا فهم يتعاطون بيعها وشراءها بحرية تامة . الويل للاسلام منهم اذا اراد ان يجلد شارب الخمر ثمانين سوطا ، او يجلد الزاني غير المحصن مائة جلدة ، او يرجم المحصن او المحصنة ، ها هم يصرخون : انها احكام قاسية ذات خشونة مستمدة من خشونة العرب . في حين ان احكام العقوبات الجنائية في الاسلام قد جاءت لمنع الفحشاء والمنكر والفساد في امة كبيرة مترامية الاطراف . وها هو الفساد قد ظهر الى حد ضاع فيه شبابنا ، وتاهوا ، لان هذا الفساد قد مهد له ، ودعي اليه ، وتوفرت له التسهيلات اللازمة . واذا اراد الاسلام في هذه اللحظة ان يتدخل، ويجلد شارب خمر بحضور طائفة من المؤمنين ، فان اولئك سيتهمونه بالخشونة والقسوة . وفي مقابل هذا لا ينبغي الاعتراض على ما يجري في فيتنام من مجازر دموية منذ خمسة عشر عاما على يد سادة هؤلاء الحكام ، على ما في ذلك من نفقات باهظة تستنزف من جيوب الشعوب . اما اذا اراد الاسلام ان يفرض الدفاع عن نفسه ، ويعلن الحرب لقطع دابر الفساد ، فانهم يصرخون : لم قامت هذه الحرب ؟

كل هذه خطط صممت ورسمت قبل مئات السنين ، وهم ينفذونها تدريجيا . في البدء اسسوا مدرسة في مكان ما ، ولم نحرك ساكنا ، وغفلنا ، وغفل امثالنا عن منع ذلك ، وزادت تدريجيا . والان ترون ان لهم دعاة في جميع القرى ، وقد عملوا على ابعاد اطفالنا عن دينهم . وتتمثل بعض خططهم في ابقائنا على

تخلفنا وضعفنا ، وبؤسنا ، ليستفيدوا هم من ثرواتنا ومعادننا واراضينا ، وقوانا البشرية . هم يرون ان نبقى بؤساء مساكين من غير اطلاع ومعرفة لما شرعه الاسلام في معالجة الفقر ، وليعيشوا هم وعملاؤهم واذنابهم في قصور وبروج ، في حياة ناعمة يرفلون . وقد تركت خططهم آثارها حتى في مجامعنا الدينية والعلمية ، بحيث ان احدا لو اراد التحدث في موضوع حكومة الاسلام ، فلا بد ان يستعمل التقية ، او يجابه اذناب الاستعمار ، حتى ان هذا الكتاب حينما صدر في طبعته الاولى أثار عملاء شاه في العراق ، وكشف عنهم بما ابدوه من حركات يائسة لم تجدهم نفعا .

نعم ، وصل بنا الامر الى حد ان بعضا منا يعتبر لباس الحرب والقتال منافيا للمروءة ، والعدالة ، في حين كان أئمتنا يلبسون للحرب لامتها ، ويأخذون للقتال آلته ، وكانوا يخوضون غمار الحروب ، وكان امير المؤمنين علي (ع) يرتدي لباس الحرب ويحمل سيفا له حمائل ، وهكذا كان الحسن (ع) وهكذا كان الحسين (ع) ، ولو سنحت الفرص لجرى على ذلك الامام محمد الباقر (ع) ومن بعده . كيف يكون ارتداء زي الحرب منافيا للعدالة الاجتماعية والمروءة ، ونحن نريد تشكيل حكومة اسلامية ، فهل نحقق ما نريد بالعمة والعباءة ، لان غير ذلك ينافي المروءة والعدالة ؟

ما تقاسيه الآن انما هو من آثار تلك الدعايات المضلة التي انتهى بها أصحابها الى ما يريدون ، واحوجتنا الى بذل جهود كبيرة كي نثبت ان في الاسلام مبادىء وقواعد لتشكيل الحكومة .

هذا وضعنا . وها هم الاعداء قد رسخوا تلك الاباطيل في نفوس الناس بالتعاون مع عملائهم ، واخرجوا قوانين الاسلام القضائية ، والسياسية عن حيز التنفيذ ، واستبدلوا بها قوانين اوربا ، تحقيرا للاسلام ، وطردا له من المجتمع ، وقد انتهزوا في ذلك كل فرصة سانحة .

هذه مخططات الاستعمار التخريبية ، واذا اضفنا اليها عوامل الضعف الداخلية لدى بعض افرادنا ، نتج عن ذلك ان هذا البعض اخذ يتضاءل ويحتقر نفسه في مقابل التقدم المادي لدى الاعداء . فحينما تتقدم دول صناعيا وعلميا ، يتضاءل بعضنا، ويظن ان قصورنا عن ذلك انما يعود الى ديننا ، وان لا سبيل الى مثل هذا التقدم الا في اعتزال الدين وقوانينه ، والمروق عن التعاليم والعقائد الاسلامية . وعند ذهابهم الى القمر تصور هؤلاء ان الدين مانعهم عن هذا !! احب ان اقول لهؤلاء : ليست قوانين المعسكر الشرقي او الغربي هي التي اوصلتهم الى القمر والى هذا التقدم الرائع في غزو الفضاء الخارجي ، فقوانين هذين المعسكرين مختلفة تماما . ليذهبوا الى المريخ ، والى اي مكان يشاؤون ، فهم لا يزالون متخلفين في مجال توفير السعادة

للانسان ، ومتخلفين في نشر الفضائل الخلقية ، وفي ايجاد تقدم نفسي روحي مشابه للتقدم المادي • ولا يزالون عاجزين عن حل مشاكلهم الاجتماعية ، لان حل تلك المشاكل ومحو الشقاء يحتاج الى روح عقائدية واخلاقية ، والمكاسب المادية في مجال تذليل الطبيعة وغزو الفضــاء ، لا تستطيع النهوض بذلك • الثــروة والطاقات ، والامكانيات بحاجة الى الايمان والعقيدة ، والاخلاق الاسلامية حتى تتكامل ، وتتعادل ، وتخدم الانسان ، وتدفــع عنــه الحيف والبؤس • ونحــن وحدنا نملك هــذه العقائد والاخلاقيات والقوانين ، وعلى هذا فلا ينبغي لنا بمجرد ان نرى احدا يذهب الى القمر او يصنع شيئا ، ان نطرح ديننا وقوانيننا التي تتصل اتصالا مباشرا بحياة الانسان ، وتحمل نواة اصلاح البشر ، واسعادهم في الدنيا والآخرة •

من الافكار التي نشرها الاستعماريون في اوساطنا ، قولهم : « لا حكومة في التشريع الاسلامي ، لا مؤسسات حكومية في الاسلام ، وعلى فرض وجود احكام شرعية مهمة ، فانها تفتقر الى ما يضمن لها التنفيذ ، وبالتالي فالاسلام مشرع لا غير » • ومــن الواضح ان هــذه الاقاويل جزء لا يتجزأ مــن الخطط الاستعمارية ، يراد بها ابعاد المسلمين عن التفكير في السياســة والحكم والادارة • هذا الكلام يخالف معتقداتنا الاولية • نحن نعتقد بالولاية ، ونعتقد ضرورة ان يعين النبي خليفة من بعده ، وقد فعــل • ماذا يعني تعيين الخليفة ؟ هل يعني مجرد بيــان

الاحكام ؟ بيان الاحكام وحده لا يحتاج الى خليفة . كان يكفيه (ص) ان يبثها في الناس ، ثم يودعها في كتاب يتركه في الناس ، ليرجعوا اليه من بعده . فالحاجة الى الخليفة انما هي من اجل تنفيذ القوانين ، لانه لا احترام لقانون من غير منفذ ، وفي العالم كله لا ينفع التشريع وحده ، ولا يؤمن سعادة البشر ، بل لا بد من سلطة تنفيذية يكون افتقادها في اية امة عامل نقص وضعف . ولهذا فقد قرر الاسلام ايجاد قوة تنفيذية من اجل تطبيق احكام الله . ولي الامر هو الذي يتصدى لتنفيذ القوانين . وهكذا فعل الرسول (ص) ولو لم يفعل فما بلغ رسالته . وكان تعيين خليفة من بعده ، ينفذ القوانين ، ويحميها ، ويعدل بين الناس عاملا متمما ومكملا لرسالته . النبي (ص) لم يكن يكتفي في ايامه ببيان الاحكام وابلاغها ، بل كان ينفذها . فقد كان رسول الله (ص) منفذ قانون . كان يعاقب ، فيقطع يد السارق ، ويجلد ويرجم ، ويحكم بالعدل . الخليفة يراد لامثال هذا . الخليفة ليس مبلغ قوانين ، او مشرعا ، انما الخليفة يراد للتنفيذ . هنا تبدو اهمية تشكيل الحكومة ، وايجاد المؤسسات التنفيذية وضرورة تنظيمها . والايمان بضرورة تشكيل الحكومة وايجاد تلك المؤسسات جزء لا يتجزأ من الايمان بالولاية . والعمل والسعي من اجل هذا الهدف هو مظهر من مظاهر ذلك الايمان بالولاية .

عليكم ان تظهروا الاسلام كما ينبغي ان يظهر . عرفوا الولاية للناس كما هي ، قولوا لهم : اننا نعتقد بالولاية ، وبان الرسول (ص) استخلف بأمر من الله ، ونعتقد كذلك بضرورة تشكيل الحكومة ، ونسعى من اجل تنفيذ امر الله وحكمه ، ومن اجل ادارة الناس ، وسياستهم ، ورعايتهم . النضال من اجل تشكيل الحكومة توأم الايمان بالولاية . اكتبوا وانشروا قوانين الاسلام ، ولا تكتموها . وخذوا على انفسكم تطبيق حكم اسلامي ، واعتمدوا على انفسكم ، وثقوا بالنصر .

المستعمرون قبل اكثر من ثلاثة قرون اعدوا انفسهم ، وبدأوا من نقطة الصفر ، فنالوا ما ارادوا . لنبدأ نحن الآن من الصفر . لا تمكنوا الغربيين واتباعهم من انفسكم . عرفوا الناس بحقيقة الاسلام ، كي لا يظن جيل الشباب ان اهل العلم في زوايا النجف وقم يرون فصل الدين عن السياسة ، وانهم لا يمارسون سوى دراسة الحيض والنفاس ، ولا شأن لهم بالسياسة . المستعمرون اشاعوا في المناهج المدرسية ضرورة فصل الدين عن الدولة ، وأوهموا الناس بعدم اهلية علماء الاسلام التدخل في شؤون السياسة والمجتمع . وردد هذا الكلام اذنابهم واتباعهم . في عصر النبي (ص) هل كان الدين بمعزل عن السياسة ؟ هل كان يومذاك مختصون بالدين ، وآخرون مختصون بالسياسة ؟ وفي زمن الخلفاء ، وفي زمن الامام امير المؤمنين علي (ع) هل فصلت

السياسة عن الدين ؟ هل كان يوجد جهاز للدين ، وجهاز آخر للسياسة ؟

لقد تفوه المستعمرون واذنابهم بهذه العبارات كي يبعدوا الدين عن امور الحياة ، والمجتمع ، ويبعدوا ضمنا علماء الاسلام عن الناس ، ويبعدوا الناس عنهم ، لان العلماء يناضلون من اجل تحرير المسلمين واستقلالهم . وعندما تتحقق امنيتهم في هذا الفصل والعزل ، يستطيعون ان يذهبوا بثرواتنا ويتحكموا فينا . وانا اقول لكم انه اذا كان همنا الوحيد ان نصلي ، وندعوا ربنا ونذكره ولا نتجاوز ذلك ، فالاستعمار واجهزة العدوان كلها لا تعارضنا . ما شئت فصل ، ما شئت فأذن ، وليذهبوا بما آتاك الله ، والحساب على الله ولا حول ولا قوة الا بالله ، وعندما نموت فأجرنا على الله ! واذا كان هذا تفكيرنا فلا شيء علينا ، ولا خوف علينا .

قيل ان احد قادة الاحتلال البريطاني للعراق حينما سمع المؤذن سأل عن الضرر الذي يسببه هذا الاذان للسياسة البريطانية ، فلما اخبر بأنه لا ضرر من ذلك قال : فليقل ما شاء ما دام لا يتعرض لنا . وانت اذا كنت لا تمس السياسة الاستعمارية ، وكنت في دراستك للاحكام لا تتجاوز النطاق العلمي ـ فلا شأن لهم معك . صل ما شئت . هم يريدون نفطك ، أي شأن لهم بصلاتك ؟ هم يريدون معادننا . يريدون ان يفتحوا

اسواقنا لبضائعهم ورؤوس اموالهم . لذا نرى الحكومات العميلة تحول دون تصنيع البلاد ، مكتفية في بعض الاحيان بمصانع التجميع لا غير . هم يريدون ان لا نرتفع الى مستوى الآدميين ، لانهم يخافون الآدميين . واذا وجدوا في مكان ما آدميا فهم يرهبونه ، لان هذا الآدمي تقدمي متطور ، يستطيع التأثير في الناس والمجتمع تأثيرا يهدم جميع ما بناه العدو ويزلزل الارض تحت عروش الظلم والخيانة والعمالة . ولهذا فانهم اذا وجدوا آدميا في وقت من الاوقات ، أئتمروا به ليقتلوه ، او يثبتوه او يخرجوه . او يتهموه بأنه سياسي . هذا العالم سياسي !! ولكن ألم يكن النبي (ص) سياسيا ؟ هل في ذلك عيب ؟ كل ذلك الكلام يقوله عمال العدو وعملاؤه ليبعدوكم عن السياسة ، وعن التدخل في شؤون المجتمع ، ويمنعوكم من مكافحة سلطات الخيانة والجور ، ليصفوا لهم الجو ، فيعملوا ما شاؤا ، وينهبوا ما شاؤا من غير معارض او عائق .

أدلة ضرورة تشكيل الحكومة

ضرورة المؤسسات التنفيذية :

مجموعة القوانين لا تكفي لاصلاح المجتمع . ولكي يكون القانون مادة لاصلاح واسعاد البشر ، فانه يحتاج الى السلطة التنفيذية . لذا فان الله عز وجل قد جعل في الارض ــ الى جانب مجموعة القوانين ــ حكومة وجهاز تنفيذ وادارة . الرسول الاعظم (ص) كان يترأس جميع اجهزة التنفيذ في ادارة المجتمع الاسلامي . واضافة الى مهام التبليغ والبيان وتفصيل الاحكام والانظمة ، كان قد اهتم بتنفيذها ، حتى اخرج دولة الاسلام الى حيز الوجود . في حينه كان الرسول (ص) لا يكتفي بتشريع القانون الجنائي مثلاً ، بل كان يسعى الى تنفيذه . كان يقطع اليد ، ويجلد ، ويرجم ، ومن بعد الرسول (ص) كانت مهام الخليفة لا تقل عن مهام الرسول (ص) . ولم يكن تعيين الخليفة لبيان الاحكام فحسب ، وانما لتنفيذها ايضا . وهذا الهدف هو الذي اضفى على الخلافة اهمية وشأنا ، بحيث كان يعتبر الرسول (ص) لولا تعيينه الخليفة من بعده غير مبلغ رسالته . فالمسلمون حديثو عهد بالاسلام وهم بأمس الحاجة الى من ينفذ القوانين ،

ويحكم امر الله وارادته في الناس ، من اجل ضمان سعادتهم في الدنيا والآخرة .

وفي الحق ان القوانين والانظمة الاجتماعية بحاجة الى منفذ . في كل دول العالم لا ينفع التشريع وحده ، ولا يضمن سعادة البشر ، بل ينبغي ان تعقب سلطة التشريع سلطة التنفيذ ، فهي وحدها التي تنيل الناس ثمرات التشريع العادل . لهذا قرر الاسلام ايجاد سلطة التنفيذ الى جانب سلطة التشريع ، فجعل للامر وليا للتنفيذ الى جانب تصديه للتعليم والنشر والبيان(١) .

* * *

نستفيد من سنة الرسول (ص) وسيرته ضرورة تشكيل الحكومة . أما اولا : فلأنه هو بدوره قد شكل الحكومة . والتاريخ يشهد بذلك وكان قد تزعم ادارة المجتمع ، وارسل الولاة ، ويجلس للقضاء بين الناس فيما اختلفوا فيه ، ويرسل الى انحاء البلاد من يقضي بين الناس بالعدل . وكان يرسل السفراء الى خارج حدود دولته ، الى رؤساء القبائل ، والى الملوك ،

---

(١) في الآية الكريمة « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ، واطيعوا الرسول ، واولي الامر منكم ... » افترض الله علينا طاعة ولي الامر ، وأولو الامر بعد الرسول (ص) هم الائمة الاطهار الذين كلفوا ببيان الاحكام والانظمة الاسلامية ونشرها في المسلمين وغيرهم من شعوب العالم ، وكلفوا ايضا بتنفيذ تلك الاحكام والانظمة وقد فرض على الفقهاء العدول من بعدهم ان ينهضوا بهذه الواجبات .

وكان يعقد المعاهدات ، ويقود الحروب ، وبالتالي كان هو ينفذ جميع احكام الاسلام .

اما ثانيا : فقد استخلف بأمر من الله من يقوم من بعده على هذه المهام وهذا الاستخلاف يدل بوضوح على ضرورة استمرار الحكومة من بعد الرسول الاكرم (ص) . وبما ان هذا الاستخلاف كان بأمر من الله ، فاستمرار الحكومة واجهزتها وتشكيلاتها ، كل ذلك بأمر من الله ايضا .

ضرورة استمرار تنفيذ الاحكام :

بديهي ان ضرورة تنفيذ الاحكام لم تكن خاصة بعصر النبي (ص) بل الضرورة مستمرة ، لان الاسلام لا يحد بزمان او مكان ، لانه خالد فيلزم تطبيقه وتنفيذه والتقيد به الى الابد . واذا كان حلال محمد حلالا الى يوم القيامة ، وحرامه حراما الى يوم القيامة ، فلا يجوز ان تعطل حدوده ، وتهمل تعاليمه ، ويترك القصاص ، او تتوقف جباية الضرائب المالية ، او يترك الدفاع عن امة المسلمين واراضيهم . واعتقاد ان الاسلام قد جاء لفترة محدودة او لمكان محدود ، يخالف ضروريات العقائد الاسلامية . وبما أن تنفيذ الاحكام بعد الرسول الاكرم (ص) والى الابد من ضرورات الحياة ، لذا كان ضروريا وجود حكومة فيها مزايا السلطة المنفذة المدبرة . اذ لولا ذلك لساد الهرج والمرج والفساد

الاجتماعي ، والانحراف العقائدي والخلقي ، فلا سبيل الى منع ذلك الا بقيام حكومة عادلة تدير جميع اوجه الحياة .

فقد ثبت بضرورة الشرع والعقل ان ما كان ضروريا ايام الرسول (ص) وفي عهد الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) من وجود الحكومة ـ لا يزال ضروريا الى يومنا هذا! . ولتوضيح ذلك اتوجه اليكم بالسؤال التالي : قد مر على الغيبة الكبرى لامامنا المهدي اكثر من الف عام ، وقد تمر الوف السنين قبل ان تقتضي المصلحة قدوم الامام المنتظر ، في طول هذه المدة المديدة هل تبقى احكام الاسلام معطلة ؟ يعمل الناس في خلالها ما يشاؤون ؟ ألا يلزم من ذلك الهرج والمرج ؟ القوانين التي صدع بها نبي الاسلام (ص) وجهد في نشرها وبيانها وتنفيذها طيلة ثلاثة وعشرين عاما ، هل كان كل ذلك لمدة محدودة ؟ هل حدد الله عمر الشريعة بمائتي عام مثلا ؟ هل ينبغي ان يخسر الاسلام من بعد الغيبة الصغرى كل شيء ؟ الذهاب الى هذا الرأي أسوأ في نظري من الاعتقاد بان الاسلام منسوخ ! فلا يستطيع احد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يقول : انه لا يجب الدفاع عن ثغور الوطن ، او انه يجوز الامتناع عن دفع الزكاة او الخمس وغيرهما او يقول بتعطيل القانون الجزائي في الاسلام ، وتجميد الاخذ بالقصاص والديات . اذن ، فان كل من يتظاهر بالرأي القائل بعدم ضرورة تشكيل الحكومة الاسلامية فهو ينكر ضرورة تنفيذ

احكام الاسلام ، ويدعو الى تعطيلها وتجميدها ، وهو ينكر بالتالي شمول وخلود الدين الاسلامي الحنيف •

****

لم يكن احد من المسلمين يشك في ضرورة استمرار وجود الحكومة من بعد الرسول (ص) • الكل متفقون على ذلك ، وانما وقع الاختلاف في شخص من يتولى ذلك • فقد كانت الحكومة موجودة بعد الرسول (ص) وفي زمن الامام امير المؤمنين علي (ع) خاصة ، بجميع مؤسساتها الادارية والتنفيذية ، من غير شك •

حقيقة قوانين الاسلام :

وماهية قوانين الاسلام دليل آخر على ضرورة تشكيل الحكومة ، فهي تدلنا ، على انها جاءت لتكوين دولة ، تكون فيها ادارة ، ويكون فيها اقتصاد سليم ، وثقافة عالية •

اولا ــ احكام الشرع تحتوي على قوانين متنوعة لنظام اجتماعي متكامل • وتحت هذا النظام تسد جميع حاجات الانسان، أخذا من علاقات الجوار ، وعلاقات الاولاد والعشيرة ، وابناء الوطن ، وجميع جوانب الحياة العائلية الزوجية ، وانتهاء بالتشريعات التي تخص الحرب والسلم ، والعلاقات الدولية ، والقوانين الجزائية ، والحقوق التجارية ، والصناعية ، والزراعية ،

كما ينظم النكاح المشروع ، وينظم ما يأكله الزوجان حالة الزواج، وفي فترة الرضاع ينظم الاسلام واجبات الابوين الذين يعهد اليهما بتربية الاولاد ، وعلاقة الزوج بزوجته ، وعلاقتها به ، وعلاقة كل منهما بالاولاد . في جميع هذا يملك الاسلام قوانين وانظمة من اجل تربية انسان كامل فاضل ، يجسد القانون ويحييه وينفذه ، ويعمل ذاتيا لاجله . ومعلوم الى اي حد اهتم الاسلام بالعلاقات السياسية والاقتصادية للمجتمع ، سعيا وراء ايجاد انسان مهذب فاضل .

القرآن المجيد ، والسنة الشريفة ، يحتويان على جميع الاحكام والانظمة التي تسعد البشر ، وتنحو به نحو الكمال .

يوجد في كتاب (الكافي) فصل تحت عنوان : (بيان جميع ما يحتاج الناس في الكتاب والسنة) وفي الكتاب (تبيان كل شيء) والامام يقسم ــ كما ورد ذلك في بعض الاحاديث ــ ان جميع ما يحتاجه الناس موجود في الكتاب والسنة من غير شك .

ثانيا ــ عند امعان النظر في ماهية احكام الشرع يثبت لدينا ان لا سبيل الى وضعها موضع التنفيذ الا بواسطة حكومة ذات اجهزة مقتدرة ، واذكر لكم امثلة يسيرة ، وعلى الاخوة المؤمنين استقصاء الباقي :

١ ـ الاحكـام الماليـة :

الضرائب المالية التي شرعها الاسلام ، ليس فيها ما يـدل على انها قد خصصت لسد رمق الفقراء ، او السادة منهم خاصة وانما هي تدل على ان تشريعها كان من اجل ضمان نفقات دولة كبرى ذات سيادة .

مثلا : الخمس مورد ضخم يدر على بيت المال اموالا طائلة تشكل النصيب الاكبر من بيت المال ، ويؤخذ الخمس علـى مذهبنا من جميع المكاسب والمنافع والارباح سواء في الزراعـة او التجارة او المعادن والكنوز ، ويساهم في دفع ضريبة الخمس بائع الخضروات اذا حصل عنده ما يزيد على مؤونته السنويـة المنسجمة مع تعاليم الشرع في الصرف والانفاق ، كما يساهم في ذلك ربان السفينة ، ومستخرج الكنوز والمعادن ، ويدفع خمس فائض الارباح الى الامام او الحاكم الاسلامي ليجعله في بيت المال . وبديهي ان هذا المورد الضخم انما هو من اجل تسييـر شؤون الدولة الاسلامية ، وسد جميع احتياجاتها المالية . واذا اردنا ان نحسب اخماس ارباح المكاسب في الدولة الاسلامية او العالم كله ـ اذا كان يدين بالاسلام ـ لتبين لنا ان هذه الاموال الطائلة ليست لرفع حاجات سيد او طالب علم ، بل لامر اكبـر واوسع من هذا ، لسد احتياجات امة باكملها ، وعندما تتحقق

دولة اسلامية ، فلا بد لها في تسيير شؤونها من الاستعانة بأموال الخمس والزكاة والجزية(١) والخراج ..

السادة ، متى كانوا بحاجة الى مثل هذا المال ؟ خمس سوق بغداد يكفي لاحتياجات جميع السادة ، ولجميع نفقات المجامع العلمية الدينية ، ولجميع فقراء المسلمين ، فضلا عن اسواق طهران واسلامبول والقاهرة وغيرها . فميزانية بمثل هذه الضخامة انما تراد لتسيير امة كبرى ، ولاشباع الحاجات الاساسية المهمة للناس ، وللقيام بالخدمات العامة الصحية ، والثقافية ، والتربوية ، والدفاعية ، والعمرانية .

والتنسيق الذي فرضه الاسلام في جمع وحفظ وصرف الاموال يضمن السلامة من الحيف والاجحاف بالخزانة العامة ، فليست لرئيس الدولة او الموظفين او اعضاء الحكومة اية امتيازات قد يساء استغلالها ، بل الناس في خزانة الامة شرع سواء .

هل نلقيْ بهذه الثروة الواسعة في البحر ؟ او ندسها في التراب حتى ظهور الحجة ؟ او نوزعها على ٥٠ هاشميا او خمسمائة الف هاشمي ؟ واذا دفع اليهم هذا المال أليس يذهلهم ويحيرهم ؟

(١) وهي ضريبة سنوية تؤخذ من الذميين ، وهم اهل الكتاب كاليهود والنصارى . وهؤلاء يعيشون في حماية الحكومة الاسلامية ، ويعفون من ضريبة الخمس والزكاة ، ويعفون كذلك من حمل السلاح للدفاع عن دولة المسلمين ، ويستفيدون من اجهزة الدولة كما يستفيد منها المسلمون .

ألا نعلم ان حق الهاشميين في هذا المال انما هو بمقدار ما يحتاجون الى انفاقه بقصد واعتدال • كل ما في الامر ان الهاشميين يتناولون حاجتهم من الخمس دون سواه ، وقد ورد في الحديث ان هؤلاء يعيدون الى الامام ما فضل عن مؤونة سنتهم ، كما ان الامام يعينهم حين لا يكون ما تناولوه من بيت المال وافيا بمؤونة سنتهم •

واذا نظرنا في الاموال التي تجبى من الجزية والخراج لوجدنا ثروة ضخمة لا يستهان بها ، فعلى الحاكم او الوالي ان يفرض على الذميين من الجزية ما يتناسب مع قدرتهم المالية • وكذلك يفرض الخراج على الاراضي الخراجية المستثمرة باشراف الدولة ، ويكون خراجها في بيت المال • وهذا كله يستلزم تشكيل دوائر خاصة ، وحسابات دقيقة ، وتدبير وتدوين ، وبعد نظر ، حتى لا يكون فوضى • كل ذلك يدل بوضوح على ضرورة تشكيل حكومة ، لانه لا يمكن لتلك التشريعات المالية ان تتحقق عمليا الا بعد استكمال واستقرار التشكيلات الحكومية •

٢ ـ احكام الدفاع :

ومن جهة اخرى نرى ان احكام الجهاد والدفاع عن حياض المسلمين لضمان استقلال وكرامة الامة ، تدل هي الاخرى على ضرورة تشكيل هذه الحكومة •

حكم الاسلام بوجوب الاعداد والاستعداد والتأهب التام حتى في وقت السلم بموجب قوله تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . واذا كان المسلمون ملتزمين بمدلول هذه الآية ، ومستعدين للقتال تحت كل الظروف ، لم يكن في ميسور حفنة من اليهود احتلال اراضينا وتخريب مسجدنا الاقصى واحراقه من غير ان يقابل ذلك بأية مقاومة . وكل ذلك انما تم كنتيجة حتمية لتقاعس المسلمين عن تنفيذ حكم الله ، ولتهاونهم في تشكيل حكومة صالحة مخلصة . واذا كان حكام المسلمين الحاليين يسعون في تطبيق احكام الاسلام ، نابذين كل خلافاتهم ، وتاركين شقاقهم وتفرقهم ، مكونين من وحدتهم يدا واحدة على من سواهم ، في هذه الحال لم يكن باستطاعة شرذمة اليهود ، وصنايع امريكا وبريطانيا ان ينتهوا الى ما انتهوا اليه مهما اعانتهم امريكا وبريطانيا . فسبب ذلك يعود بالطبع الى عدم اهلية حكام المسلمين ولياقتهم .

آية « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... » تأمر بالقوة والاستعداد والتأهب الكامل ، حتى لا يسومنا الاعداء سوء العذاب ، لكننا لم نتحد بل تحسبنا جميعا وقلوبنا شتى ، ولم نستعد ، فتعدى الظالمون حدودهم وبغوا علينا وظلمونا .

ولا يمكن لهذه الاحكام ان تقام بدون سلطات حكومية . فبواسطتها تؤخذ الدية من الجاني ، وتدفع الى اهلها ، وبواسطتها تقام الحدود ، ويكون القصاص تحت اشراف ونظر الحاكم الشرعي .

ضرورة الثورة السياسية :

في صدر الاسلام سعى الامويون ومن يسايرهم لمنع استقرار حكومة الامام علي بن ابي طالب (ع) مع انها كانت مرضية لله وللرسول . وبمساعيهم البغيضة تغير اسلوب الحكم ونظامه وانحرف عن الاسلام . لان برامجهم كانت تخالف وجهة الاسلام في تعاليمه تماما . وجاء من بعدهم العباسيون ، ونسجوا على نفس المنوال . وتبدلت الخلافة ، وتحولت الى سلطنة وملكية موروثة ، واصبح الحكم يشبه حكم اكاسرة فارس ، واباطرة الروم ، وفراعنة مصر ، واستمر ذلك الى يومنا هذا .

الشرع والعقل يفرضان علينا الا نترك الحكومات وشأنها . والدلائل على ذلك واضحة ، فان تمادي هذه الحكومات في غيها يعني تعطيل نظام الاسلام واحكامه . في حين توجد نصوص كثيرة تصف كل نظام غير اسلامي بأنه شرك ، والحاكم او السلطة فيه طاغوت . ونحن مسؤولون عن ازالة آثار الشرك من مجتمعنا

المسلم ، ونبعدها تماما عن حياتنا . وفي نفس الوقت نحن مسؤولون عن تهيئة الجو المناسب لتربية وتنشئة جيل مؤمن فاضل يحطم عروش الطواغيت ، ويقضي على سلطاتهم غير الشرعية ، لان الفساد والانحراف ينمو على ايديهم ، وهذا الفساد ينبغي ازالته ومحوه وانزال العقوبة الصارمة بمسببيه . وقد وصف الله في كتابه المجيد فرعون بأنه (كان من المفسدين) . وفي ظل حكم فرعوني يتحكم في المجتمع ويفسده ولا يصلحه ، لا يستطيع مؤمن يتقي الله ان يعيش ملتزما ومحتفظا بايمانه وهديه . وامامه سبيلان لا ثالث لهما : اما ان يقسر على ارتكاب اعمال مردية ، او يتمرد على حكم الطاغوت ويحاربه ، ويحاول ازالته ، او يقلل من آثاره على الاقل . ولا سبيل لنا الا الثاني ، لا سبيل لنا الا ان نعمل على هدم الانظمة الفاسدة المفسدة ، ونحطم زمر الخائنين والجائرين من حكام الشعوب .

هذا واجب يكلف به المسلمون جميعا اينما كانوا ، من اجل خلق ثورة سياسية اسلامية ظافرة منتصرة .

ضرورة الوحدة الاسلامية :

ومن جهة اخرى فقد جزأ الاستعمار وطننا ، وحول المسلمين الى شعوب . وعند ظهور الدولة العثمانية كدولة موحدة سعى المستعمرون في تفتيتها . لقد تحالف الروس والانكليز وحلفاؤهم

وحاربوا العثمانيين ، ثم تقاسموا الغنائم كما تعلمون • ونحن لا ننكر ان اكثر حكام الدولة العثمانية كانت تنقصهم الكفاءة الجدارة والاهلية ، وبعضهم كان مليئا بالفساد ، وكثير منهم كانوا يحكمون الناس حكما ملكيا مطلقا • ومع ذلك كان المستعمرون يخشون ان يتسلم بعض ذوي الصلاح والاهلية من الناس وبمعونة الناس ــ منصة قيادة الدولة العثمانية على وحدتها وقدرتها وقوتها وثرواتها ، فيبدد كل آمال الاستعماريين واحلامهم • لهذا السبب ما لبثت الحرب العالمية الاولى ان انتهت حتى قسموا البلاد الى دويلات كثيرة ، وجعلوا على كل دويلة منها عميلا لهم ، ومع ذلك فقد خرج قسم من هذه الدويلات بعد ذلك عن قبضة الاستعمار وعملائه •

ونحن لا نملك الوسيلة الى توحيد الامة الاسلامية وتحرير اراضيها من يد المستعمرين ، واسقاط الحكومات العميلة لهم الا ان نسعى الى اقامة حكومتنا الاسلامية ، وهذه بدورها سوف تكلل اعمالها بالنجاح يوم تتمكن من تحطيم رؤوس الخيانة ، وتدمر الاوثان والاصنام البشرية والطواغيت التي تنشر الظلم والفساد في الارض •

تشكيل الحكومة اذن يرمي الى الاحتفاظ بوحدة المسلمين بعد تحقيقها ، وقد ورد ذلك في خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام : « ... وطاعتنا نظاما للملة ، وامامتنا امانا من الفرقة ... »

ضرورة انقاذ المظلومين والمحرومين :

وقد استعان المستعمرون بعملاء لهم في بلادنا من اجل تنفيذ مآربهم الاقتصادية الجائرة • وقد نتج عن ذلك ان يوجد مئات الملايين من الناس جياعا يفتقدون ابسط الوسائل الصحية والتعليمية ، وفي مقابلهم افراد ذوي ثراء فاحش وفساد عريض • والجياع من الناس في كفاح مستمر من اجل تحسين اوضاعهم ، وتخليص انفسهم من وطأة جور حكامهم المعتدين ، ولكن الاقليات الحاكمة واجهزتها الحكومية هي الاخرى تسعى الى اخماد هذا الكفاح • اما نحن فمكلفون بانقاذ المحرومين المظلومين ، نحن مأمورون باعانة المظلومين ومناوأة الظالمين كما ورد ذلك في وصية امير المؤمنين (ع) لولديه : « وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا » •

وعلماء الاسلام مكلفون بمناضلة المستغلين الجشعين لئلا يكون في المجتمع سائل محروم مقابل مرفه جشع اصابه بطر • امير المؤمنين (ع) يقول : « اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر ، وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم ؛ لالقيت حبلها على غاربها ، وسقيت آخرها بكأس اولها ، ولالفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز » (١) •

---

(١) نهج البلاغة ٤١/١

كيف يسوغ لنا اليوم ، ان نسكت عن بضعة اشخاص من المستغلين والاجانب المسيطرين بقوة السلاح ، وهم قد حرموا مئات الملايين من الاستمتاع بأقل قدر من مباهج الحياة ونعمها . فواجب العلماء وجميع المسلمين ان يضعوا حدا لهذا الظلم ، وان يسعوا من اجل سعادة الملايين من الناس ، في تحطيم الحكومات الجائرة وازالتها ، بتأسيس حكومة اسلامية عاملة مخلصة .

***

تقدم ثبوت ذلك بضرورة العقل والشرع ، وبسيرة الرسول (ص) وبسيرة امير المؤمنين (ع) ، وبمفاد كثير من الآيات والاحاديث . وكمثال على ذلك ، نذكر رواية عن الامام الرضا عليه السلام :

« عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري العطار ، قال : حدثني أبو الحسن عليّ بن محمد بن قتيبة النيسابوري ، قال : قال ابو محمد الفضل ابن شاذان النيسابوري : ان سأل سائل فقال : اخبرني هل يجوز ان يكلف الحكيم ... فان قال قائل : ولم جعل اولي الامر ، وامر بطاعتهم ؟ قيل لعلل كثيرة ، منها ان الخلق لما وقفوا على حد محدود ، وامروا ان لا يتعدوا تلك الحدود ، لما فيه من فسادهم ، لم يكن يثبت ذلك ، ولا يقوم إلا بان يجعل عليهم فيها امينا يأخذ بالوقف عندما ابيح لهم ،

ويمنعهم عن التعدي على ما حظر عليهم ، لانه لو لم يكن ذلك لكان احد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره ــ هكذا في النسخة ، والصحيح : لما كان احد يترك لذته ــ ومنها انا لا نجد فرقة من الفرق ، ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا الا بقيم ورئيس ، لما لا بد لهم منه في امر الدين والدنيا . فلم يجز في حكمة الحكيم ان يترك الخلق لما يعلم انه لا بد لهم منه ، ولا قوام لهم الا به ، فيقاتلون به عدوهم ويقسمون به فيئهم ، ويقيمون به جمعهم وجماعتهم ، ويمنع ظالمهم من مظلومهم . ومنها انه لو لم يجعل لهم اماما قيما امينا حافظا مستودعا لدرست الملة ، وذهب الدين ، وغيرت السنن والاحكام ، ولزاد فيه المبتدعون ، ونقص منه الملحدون ، وشبهوا ذلك على المسلمين ، اذ قد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين مع اختلافهم واختلاف اهوائهم وتشتت حالاتهم . فلو لم يجعل قيما حافظا لما جاء به الرسول الاول ، لفسدوا على نحو ما بيناه ، وغيرت الشرائع والسنن والاحكام والايمان ، وكان في ذلك فساد الخلق اجمعين » (١)

فأنتم ترون ان الامام يستدل بوجوه عدة على ضرورة وجود ولي الامر الذي يقوم بحكومة الناس . وتلك العلل التي ذكرها موجودة في كل زمان ، ويترتب على ذلك ضرورة تشكيل الحكومة الاسلامية في كل وقت . لان التعدي عن حدود الله ، والسعي

(١) علل الشرائع ١٨٣/١ الحديث ٩

وراء اللذة الشخصية ، ونشر الفساد في الارض ، وهضم حقوق الضعفاء ، كل ذلك موجود في كل زمان ، وليس في زمان دون زمان ، فاقتضت الحكمة الالهية ان يعيش الناس بالعدل في الحدود التي حدها الله لهم • وهذه الحكمة مستمرة وابدية ، وعلى هذا فوجود ولي الإمر القائم على النظم والقوانين الاسلامية ضروري ، لانه يمنع الظلم والتجاوز والفساد ، ويتحمل الامانة ، ويهدي الناس الى صراط الحق ، ويبطل بدع الملحدين والمعاندين • ألم تكن خلافة امير المؤمنين قد انعقدت لاجل هذا ؟ تلك العلل والضرورات التي جعلت الامام عليا يتولى الناس هي الان موجودة بفارق واحد هو ان الامام منصوص عليه بالذات ، بينما حددت شخصية الحاكم الشرعي في ايامنا هذه بتحديد ماهيته وصفاته ومؤهلاته تحديدا عاما •

فاذا اردنا تخليد احكام الشرع عمليا ، ومنع الظلم والاعتداء على حقوق الضعفاء من الخلق ومنع الفساد في الارض ، ومن اجل تطبيق احكام الشرع بشكل عادل ، ومحاربة البدع والضلالات التي تقررها المجالس النيابية ـ البرلمانية ـ المزيفة ، ومنع نفوذ وتدخل الاعداء في شؤون المسلمين ، من اجل ذلك كله لا بد من تشكيل الحكومة • لان ذلك كله مما تنهض بأعبائه الحكومة بقيادة حاكم امين صالح ، لا جور عنده ، ولا انحراف ، ولا فساد •

وفي السابق لم تعمل ، ولم تنهض سوية لتشكيل حكومة تحطم الحكام الخائنين المفسدين ، وبعضنا قد ابدى فتورا حتى في المجال النظري وتقاعس بعضنا عن الدعوة الى الاسلام ونشر احكامه ، ولعل بعضنا قد انشغل بالدعاء لهم ، ونتيجة لكل ذلك وجدت هذه الاوضاع وقــل نفوذ حكم الاسلام في مجتمــع المسلمين ، وابتليت الامة بالتجزئة والضعف والانحلال ، وتعطلت احكام الاسلام ، وتبدلت الحال ، وانتهز المستعمرون ذلك فرصة سانحة فاستقدموا قوانين اجنبية لم ينزل الله بها من سلطان ، ونشروا ثقافاتهم وافكارهم المسمومة واذاعوها في المسلمين . كل ذلك لاننا فقدنا القائد القائــم على شؤون المسلمين ، وفقدنــا تشكيلات الحكومة الصالحة . وهذا من الواضحات .

نظام الحكم الاسلامي

امتيازه عن سائر الانظمة السياسية :

الحكومة الاسلامية لا تشبه الاشكال الحكومية المعروفة . فليست هي حكومة مطلقة يستبد فيها رئيس الدولة برأيه ، عابثا بأموال الناس ورقابهم . فالرسول (ص) وامير المؤمنين علي (ع) وسائر الائمة ما كانوا يملكون العبث بأموال الناس ولا برقابهم ، فحكومة الاسلام ليست مطلقة وانما هي دستورية ، ولكن لا بالمعنى الدستوري المتعارف الذي يتمثل في النظام البرلماني او المجالس الشعبية ، وانما هي دستورية بمعنى ان القائمين بالامر يتقيدون بمجموعة الشروط والقواعد المبينة في القرآن والسنة ، والتي تتمثل في وجوب مراعاة النظام وتطبيق احكام الاسلام وقوانينه ، ومن هنا كانت الحكومة الاسلامية هي حكومة القانون الالهي . ويكمن الفرق بين الحكومة الاسلامية والحكومات الدستورية الملكية منها والجمهورية في ان ممثلي الشعب او ممثلي الملك هم الذين يقننون ويشرعون ، في حين تنحصر سلطة التشريع بالله عز وجل ، وليس لاحد ايا كان ان يشرع ، وليس لاحد ان

يحكم بما لم ينزل الله به من سلطان . لهذا السبب فقد استبدل الاسلام بالمجلس التشريعي(١) مجلسا آخر للتخطيط ، يعمل على تنظيم سير الوزارات في اعمالها وفي تقديم خدماتها في جميع المجالات .

وكل ما ورد في الكتاب والسنة مقبول ، مطاع في نظر المسلمين ، وهذا الانصياع يسهل على الدولة مسؤولياتها ، في حين ان الحكومات الدستورية الملكية او الجمهورية اذا شرعت الاكثرية فيها شيئا ، فان الحكومة بعد ذلك تعمل على ان تحمل الناس على الطاعة والامتثال بالقوة اذا لزم الامر .

فحكومة الاسلام حكومة القانون ، والحاكم هو الله وحده، وهو المشرع وحده لا سواه ، وحكم الله نافذ في جميع الناس ، وفي الدولة نفسها . كل الافراد : الرسول (ص) وخلفاؤه وسائر الناس يتبعون ما شرعه لهم الاسلام الذي ينزل به الوحي ويبينه الله في القرآن او على لسان الرسول (ص) .

والرسول الكريم (ص) وقد استخلفه الله في الارض ليحكم بين الناس بالحق ولا يتبع الهوى ، قد كلمه الله وحيا ان يبلغ ما انزل اليه فيمن يخلفه في الناس ، وبحكم هذا الامر فقد اتبع

---

(١) المجلس التشريعي هو واحد من ثلاث سلطات توجد في جميع الدول في العصور الحديثة وهذه السلطات هي : السلطة التشريعية ، والسلطة القضائية ، والسلطة التنفيذية (الوزارة) .

ما أمر به ، وعين امير المؤمنين عليا للخلافة ، ولم يكن مدفوعاً الى ذلك بحكم انه صهره ، او ان له يدا لا تنسى وخدمات جليلة ، بل لان الله امره بذلك .

اجل ، فالحكومة في الاسلام تعني اتباع القانون، وتحكيمه. والسلطات الموجودة عند النبي (ص) وولاة الامر الشرعيين من بعده انما هي مستمدة من الله . وقد امر الله باتباع النبي واولي الامر من بعده : « واطيعوا الرسول واولي الامـر منكم » . فلا مجال للاراء والاهواء في حكومـة الاسلام وانمـا النبي ، والائمة ، والناس يتبعون ارادة الله وشريعته .

وحكومـة الاسلام ليست ملكيـة ولا شاهنشاهية ، ولا امبراطورية ، لان الاسلام منزه عن التفريط والاستهانة بأرواح الناس واموالهم بغير حق ، ولذلك لا يوجد في حكومة الاسلام نظير ما يكثر وجوده عند السلاطين والاباطرة من قصور ضخمة ، وخدم وحشم ، وبلاط ملكي ، وديوان لولي العهد ، وامثـال ذلك من المستلزمات التافهة التي تلتهم نصف او غالبية ثـروة البلاد . حياة الرسول الاعظم (ص) كانت في منتهى البساطـة كما تعلمون ، بالرغم من انه كان يرأس الدولة ويسيرها ويحكمها بنفسه . واستمرت هذه السيرة من بعده الى حد ما ، الى ما قبل استيلاء الامويين على السلطة . وكانت حكومة علي بن ابي طالب (ع) حكومة اصلاح كما تعرفون ، وكان يعيش ببساطة تامـة ،

وهو يدير دولة مترامية الاطراف ، تكون فيها إيران ومصر والحجاز واليمن مجرد ولايات واقاليم تابعة لحكمه . ولا اظن ان احدا من قرائنا يستطيع ان يمارس اسلوب العيش الذي كان عليه الامام (ع) ، فقد نقل انه عندما اقتنى ثوبين اعطى اجودهما لخادمه (قنبر) وارتدى الآخر ، واذ وجد في ردنه فضلا قطعه . ولو كانت تلك السيرة مستمرة الى الان لعرف الناس طعم السعادة ، ولما نهبت خزائن البلاد لتصرف في الفحشاء والمنكر ، ومصارف ونفقات البلاط . وانتم تعلمون ان اكثر مفاسد مجتمعنا يعود سببها الى فساد الاسرة الحاكمة والعائلة المالكة . ما هي شرعية هؤلاء الحكام الذين يعمرون بيوت اللهو والفساد والفحشاء والمنكر ويخربون بيوتا اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ؟ ولولا ما يبذره البلاط ، وما يختلسه لما دخل ميزانية البلاد اي عجز يحمل الدولة على الاستدانة من امريكا وانكلترا بما يصاحب ذلك من ذل ومهانة . فهل قل نفطنا ؟ ام هل نضبت معادننا المذخورة تحت هذه الارض الطيبة ؟ نحن نملك كل شيء ، ولا نفتقر الى مساعدة من امريكا وغيرها لولا نفقات البلاط واسرافه في اموال الشعب . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى هناك دوائر في الدولة لا حاجة اليها ، وهي تستهلك اموالا وطاقات وورقا وادوات ، وذلك اسراف محرم في شريعتنا ، لان ذلك يزيد في مشاكل الناس ، ويأخذ عليهم وقتا وجهدا ، ويستنزف منهم اموالا هم احوج ما يكونون اليها . ففي الاسلام ـ ايام حكمه ـ كان تجري القضاء ، وتقام الحدود ، والتعزيرات ،

ويفصل في النزاعات ، ببساطة تامة . كان القاضي يكتفي لينفوذ بكل ذلك ببضعة اشخاص ، يضاف الى ذلك قلم وقليل من الحبر والورق ، ومن وراء ذلك كان يوجه الناس الى العمل من اجل حياة شريفة فاضلة . اما الان فالله يعلم عدد دوائر العدل ودواوينها وموظفيها ، وكلها عقيمة لا تقدم للناس نفعا سوى ما تسببه لهم من اتعاب ومصاعب ، وتضييع للاوقات والاموال . وبالتالي تضييع للقضايا والحقوق .

شروط الحاكم :

والشروط التي ينبغي توفرها في الحاكم نابعة من طبيعة الحكومة الاسلامية . فانه بصرف النظر عن الشروط العامة كالعقل والبلوغ وحسن التدبير ، هناك شرطان مهمان ، هما :

١ ــ العلم بالقانون الاسلامي

٢ ــ العدالة

١ ــ بما ان الحكومة الاسلامية هي حكومة القانون ، كان لزاما على حاكم المسلمين ان يكون عالما بالقانون ــ كما ورد ذلك في الحديث . وكل من يشغل منصبا او يقوم بوظيفة معينة فانه يجب عليه ان يعلم في حدود اختصاصه وبمقدار حاجته ، والحاكم اعلم من كل من عداه . وكان أئمتنا قد اثبتوا جدارتهم بامامة الناس بما سبقوا اليه من العلم . وما اخذه علماء الشيعة على

غيرهم من مؤاخذات ، انما يدور اكثر ذلك حول المستوى العلمي الذي بلغه أئمتنا ، وقصر عنه سواهم ٠

فالعلم بالقانون والعدالة من اهم اركان الامامة ٠ واذا كان الشخص يعلم الكثير عن الطبيعة واسرارها ويحسن كثيرا من الفنون ، ولكنه يجهل القانون ، فليس علمه ذاك مؤهلا اياه للخلافة ومقدما اياه على غيره ممن يعلم القانون ويعمل بالعدل ٠ وقد اصبح من المسلمات لدى المسلمين من اول يوم وحتى يومنا هذا ان الحاكم او الخليفة ينبغي ان يتحلى بالعلم بالقانون ، وعنده ملكة العدالة مع سلامة الاعتقاد وحسن الاخلاق ٠ وهذا ما يقتضيه العقل السليم ، خاصة ونحن نعرف ان الحكومة الاسلامية تجسيد عملي للقانون ، وليست ركوب هوى ، فالجاهل بالقوانين لا اهلية فيه للحكم ، لانه ان كان مقلدا في احكامه ، فلا هيبة لحكومته وان لم يقلد فانه يعجز عن تنفيذ الاحكام مع فرض جهله التام بها ٠ ومن المسلم به : « الفقهاء حكام على الملوك » ٠ واذا كان السلاطين على جانب من التدين فما عليهم الا ان يصدروا في اعمالهم واحكامهم عن الفقهاء ، وفي هذه الحالة فالحكام الحقيقيون هم الفقهاء ، ويكون السلاطين مجرد عمال لهم ٠

وطبيعي انه ليس واجبا على كل موظف ايا كانت وظيفته ان يحيط علما بجميع القوانين ، ويتفقه فيها ، بل يكفيه ان يتبصر بما يهمه منها في شغله او عمله او المهمة التي عهد بها اليه ٠ بهذا

جرت السيرة على عهد الرسول (ص) وعلى عهد امير المؤمنين ، فالحاكم الاعلى يحيط بجميع الاحكام الاسلامية ، ويكتفي المبعوثون والمرسلون والعمال والولاة بالعلم بما يتصل بمهمتهم من احكام وتشريعات ، ويرجعون فيما لا يعلمون الى مصادر التشريع المرسومة لهم .

٢ ــ وعلى الحاكم ان يتحلى بأقصى حد من كمال العقيدة . وحسن الاخلاق مع العدل والنزاهة من الآثام . لان من يتصدى لاقامة الحدود وانفاذ الحقوق ، وينظم موارد بيت المال ومصارفه. لا ينبغي ان يكون ظالما ، لان الله تعالى يقول في كتابه العزيز : « ولا ينال عهدي الظالمين » . فالحاكم اذا لم يكن عادلا فانه لا يؤمن ان يخون الامانة ، ويحمل نفسه وذويه وآله على رقاب الناس .

فرأي الشيعة فيمن يحق له ان يلي الناس معروف منذ وفاة رسول الله (ص) وحتى زمان الغيبة ، فالامام عندهم فاضل عالم بالاحكام والقوانين ، وعادل في انفاذها ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

الحاكم في زمن الغيبة :

واذا كنا نعتقد ان الاحكام التي تخص بناء الحكومة الاسلامية لا تزال مستمرة ، وان الشريعة تنبذ الفوضى ، كان

لزاما علينا تشكيل الحكومة . والعقل يحكم بضرورة ذلك ، خاصة فيما اذا دهمنا عدو ، او اعتدى علينا معتد لا بد من جهاده ودفعه . وقد امر الشرع بأن نعد لهم ما استطعنا من قوة نرهب بها عدو الله وعدونا ، ويشجعنا على ان نرد من اعتدى علينا بمثل ما اعتدى علينا ، وكذلك يدعو الاسلام الى انصاف المظلوم واستخلاص حقه ، وردع الظالم . وكل ذلك يحتاج الى اجهزة قوية . واما نفقات الحكومة التي يراد تشكيلها من اجل خدمة الشعب ـ مجموع الشعب ـ فمن بيت المال الذي تكون موارده من الخراج والخمس والزكاة وغيرها .

واليوم ـ في عهد الغيبة ـ لا يوجد نص على شخص معين يدير شؤون الدولة ، فما هو الرأي ؟ هل نترك احكام الاسلام معطلة ؟ ام نرغب بأنفسنا عن الاسلام ؟ ام نقول ان الاسلام جاء ليحكم الناس قرنين من الزمان فحسب ليهملهم بعد ذلك ؟ او نقول ان الاسلام قد اهمل امور تنظيم الدولة ؟ ونحن نعلم ان عدم وجود الحكومة يعني ضياع ثغور المسلمين وانتهاكها ، ويعني تخاذلنا عن حقنا وعن ارضنا . هل يسمح بذلك في ديننا ؟ أليست الحكومة ضرورة من ضرورات الحياة ؟ وبالرغم من عدم وجود نص على شخص من ينوب عن الامام (ع) حال غيبته ، الا ان خصائص الحاكم الشرعي لا يزال يعتبر توفرها في اي شخص مؤهلا اياه ليحكم في الناس ، وهذه الخصائص التي هي عبارة عن : العلم بالقانون ، والعدالة ، موجودة في معظم فقهائنا في هذا

العصر ، فاذا اجمعوا امرهم كان في ميسورهم ايجاد وتكوين حكومة عادلة عالمية منقطعة النظير .

ولايـة الفقيـه :

واذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل ، فانه يلي من امور المجتمع ما كان يليه النبي (ص) منهم ، ووجب على الناس ان يسمعوا له ويطيعوا .

ويملك هذا الحاكم من امر الادارة والرعاية والسياسـة للناس ما كان يملكه الرسول (ص) وامير المؤمنين (ع) على ما يمتاز به الرسول والامام من فضائل ومناقب خاصة . لان فضائلهم لم تكن تخولهم ان يخالفوا تعاليم الشرع ، او يتحكموا في الناس بعيدا عن امر الله . وقد فوض الله الحكومة الاسلامية الفعلية المفروض تشكيلها في زمن الغيبة نفس ما فوضه الى النبي (ص) وامير المؤمنين (ع) من امر الحكم والقضاء والفصل في المنازعات ؛ وتعيين الولاة والعمال ، وجباية الخراج ، وتعمير البلاد ، غاية الامر ان تعيين شخص الحاكم الان مرهون بمن جمع في نفسه العلم والعدل ..

الولايـة الاعتباريـة :

ولا ينبغي ان يساء فهم ما تقدم ، فيتصور احد ان اهلية الفقيه للولاية ترفعه الى منزلة النبوة او الى منزلـة الائمة لان

كلامنا هنا لا يدور حول المنزلة والمرتبة ، وانما يدور حول الوظيفة العملية . فالولاية تعني حكومة الناس ، وادارة الدولة ، وتنفيذ احكام الشرع ، وهذه مهمة شاقة ، ينوء بها من هو اهل لها من غير ان ترفعه فوق مستوى البشر . وبعبارة اخرى فالولاية تعني الحكومة والادارة وسياسة البلاد ، وليست — كما يتصور البعض — امتيازا او محاباة او اثرة ، بل هي وظيفة عملية ذات خطورة بالغة .

ولاية الفقيه امر اعتباري جعله الشرع ، كما يعتبر الشرع واحدا منا قيما على الصغار ، فالقيم على شعب بأسره لا تختلف مهمته عن القيم على الصغار الا من ناحية الكمية . واذا فرضنا النبي (ص) والامام (ع) قيما على صغار فان مهمتهما في هذا المجال لا تختلف كما ولا كيفا عن اي فرد عادي آخر اذا عين للقيمومة على نفس اولئك الصغار . وكذلك قيمومتهما على الامة بأسرها من الناحية العملية لا تختلف عن قيمومة اي فقيه عالم عادل في زمن الغيبة .

واذا فرض فقيه عادل متمكنا من اقامة الحدود ، فهل يقيمها على غير الوجه الذي كانت تقام عليه ايام الرسول (ص) وعلى عهد الامام امير المؤمنين (ع) ، هل كان النبي (ص) يجلد الزاني غير المحصن اكثر من مائة جلدة ؟ وهل على الفقيه ان ينقص منها

مقدارا ، كي يثبت تفاوت بينه وبين النبي (ص) ؟ كلا ! لان الحاكم ـ نبيـا كان ام اماما ام فقيها عادلا ـ ليس الا منفـذا لامـر الله وحكمه .

والرسول (ص) كـان يجبي الضرائب : الخمس والزكـاة والجزية والخراج . هل هناك تفاوت بين ما يجبيه النبي وما يجبيه الامام (ع) او فقيه العصر ؟

فالله جعل الرسول (ص) وليا للمؤمنين جميعا ، وتشمل ولايته حتى الفرد الذي سيخلفه ، ومن بعـده كان الامام (ع) وليا ، ومعنى ولايتهما ان اوامرهما الشرعية نافذة في الجميع ، واليهما يرجع تعيين القضاة والولاة ، ومراقبتهم وعزلهـم اذا اقتضى الامر .

نفس هذه الولاية والحاكمية موجودة لدى الفقيه ، بفارق واحد هو ان ولاية الفقيه على الفقهاء الآخرين لا تكون بحيـث يستطيع عزلهم او نصبهم ، لان الفقهاء في الولاية متساوون مـن ناحية الاهلية .

بعد هذا ، ينبغي للفقهاء ان يعملوا فرادى او مجتمعين من اجل اقامة حكومة شرعية ، تعمل على اقامة الحدود ، وحفـظ الثغور واقرار النظام . واذا كانت الاهلية لذلك منحصرة في فرد ، كان ذلك عليه واجبا عينيا ، والا فالواجب كفائي . وفي حالـة

عدم امكان تشكيل تلك الحكومة ، فالولاية لا تسقط ، لان الفقهاء قد ولاهم الله ، فيجب على الفقيه ان يعمل بموجب ولايته قدر المستطاع ، فعليه ان يأخذ الزكاة والخمس والخراج والجزية ان استطاع ، لينفق كل ذلك في مصالح المسلمين وعليه ان استطاع ان يقيم حدود الله . وليس العجز المؤقت عن تشكيل الحكومة القوية المتكاملة يعني بأي وجه ان ننزوي بل ان التصدي لحوائج المسلمين ، وتطبيق ما تيسر تطبيقه فيهم من الاحكام ، كل ذلك واجب بالقدر المستطاع .

الولايـة التكوينيـة :

وثبوت الولاية والحاكمية للامام (ع) لا تعني تجرده عن منزلته التي هي له عند الله ، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام . فان للامام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون . وان من ضروريات مذهبنا ان لائمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل . وبموجب ما لدينا من الروايات والاحاديث فان الرسول الاعظم (ص) والائمة (ع) كانوا قبل هذا العالم انوارا فجعلهم الله بعرشه محدقين ، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه الا الله . وقد قال جبرئيل ــ كما ورد في روايات المعراج ــ : لو دنوت انملة لاحترقت . وقد ورد عنهم (ع) : أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل . ومثل هذه المنزلة

موجودة لفاطمة الزهراء عليها السلام لا بمعنى انها خليفة او حاكمة او قاضية ، فهذه المنزلة شيء آخر وراء الولاية والخلافة والامرة ، وحين نقول : ان فاطمة (ع) لم تكن قاضية او حاكمة او خليفة فليس يعني ذلك تجردها عن تلك المنزلة المقربة ، كما لا يعني ذلك انها امرأة عادية من امثال ما عندنا . واذا قال قائل : النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ، فقد اقر له بمرتبة هي فوق كونه وليا او حاكما على المؤمنين . ونحن لا نعارض في هذا ، بل نؤيده ، وان كان ذلك مما استأثر الله بعلمه .

الحكومة وسيلة لتحقيق الاهداف السامية :

والقيام بشؤون الدولة لا يكسب القائمين بالامر مزيد شأن ورفعة ، لان الحكومة وسيلة لتنفيذ الاحكام واقرار النظام الاسلامي العادل ، وتتجرد الحكومة عن اية قيمة اذا اعتبرت هدفا مقصودا يطلب لذاته . امير المؤمنين (ع) قال مرة لابن عباس ــ وقد كان بيد الامام (ع) نعل يخصفه : ما قيمة هذه النعل ؟ قال ابن عباس : لا قيمة لها . قال الامام (ع) والله لهي احب الي من امرتكم الا ان اقيم حقا او ادفع باطلا(١) . والامام (ع) غير متهافت على الامرة ولا مشغوف بها ، وهو الذي يقول : اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر ، وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على

(١) نهج البلاغة ١/٨٠

كظة ظالم ولا سغب مظلوم ، لالقيت حبلها على غاربها ، وسقيت آخرها بكأس اولها ، ولالفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز .

فالحكم ليس غاية في نفسه ، وانما هو وسيلة تكون له قيمة ما دامت غايته نبيلة ، فاذا طلب باعتباره غاية واتخذت لنيله جميع الوسائل ، فقد تدنى الى درك الجريمة ، واصبح طلابه في عداد المجرمين . ولم تسنح الفرص لائمتنا للاخذ بزمام الامور ، وكانوا بانتظارها حتى آخر لحظة من الحياة ، فعلى الفقهاء العدول ان يتحينوا هم الفرص وينتهزوها من اجل تنظيم وتشكيل حكومة رشيدة يراد بها تنفيذ امر الله ، واقرار النظام العادل ، وان كان ذلك يحملهم جهودا ومساعي غير يسيرة ، ولا عذر يقبل في ذلك . لان نفس تولي الفقيه لامور الناس بالقدر المستطاع ، يمثل بدوره انصياعا لامر الله ، واداء للوظيفة الشرعية الواجبة .

وللاستدلال على ان الحكومة وسيلة وليست هدفا نذكر ما قاله امير المؤمنين عليه السلام في خطبة له خطبها في مسجد الرسول (ص) بعد بيعة الناس له : « اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ، ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك » .

صفات الحاكم الذي يحقق هذه الاهداف :

وفي نفس خطبته هذه يشير الى الصفات التي ينبغي توفرها في الحاكم الذي يريد تحقيق الأهداف السامية التي سبق ان ذكرها الامام (ع) في خطبته ، فهو يقول : « اللهم اني اول من اناب وسمع واجاب ، لم يسبقني الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة . وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج ، والدماء ، والمغانم ، والاحكام ، وامامة المسلمين ، البخيل فتكون في اموالهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ، ولا الخائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة فيهلك الامة » .

وهذا يدور — كما ترون — حول علم الحاكم وعدالته ، وهما شرطان ينبغي وجودهما في الحاكم الاسلامي ، فهو يشير بقوله : ولا الجاهل فيضلهم بجهله الى الشرط الاول ، وبباقي الحديث الى العدالة التي تعني ان يكون الحاكم في حكمه وعلاقاته ، وعشرته للناس آخذا بسيرة امير المؤمنين (ع) وبما ورد عنه في عهده الذي عهد به الى مالك الاشتر واليه على مصر ، ويمكننا ان نرى في عهده هذا عهدا الى جميع الولاة والعمال والحكام والفقهاء في كل عصر ومصر .

ولاية الفقيه مستفادة من الاحاديث :

خلفاء الرسول (ص) هم الفقهاء العدول :

قال امير المؤمنين علي (ع) : « قال رسول الله (ص) : اللهم ارحم خلفائي ، ــ ثلاث مرات ــ قيل : يا رسول الله ، ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون من بعدي ، يروون حديثي ، وسنتي ، فيعلمونها الناس من بعدي » (١) .

يذكر الشيخ الصدوق ــ رحمه الله ــ هــذه الرواية في جامع الاخبار ، وعيون اخبار الرضا ، والمجالس في خمسة اسناد ، او اربعة على اقل تقدير بسبب الاشتراك في اسمــاء راويين في طريقين من هذه الطرق . واذ تذكر هذه الرواية مرسلة فهي تخلو من جملة « فيعلمونها الناس من بعدي » واذ تذكر مسندة بعدة اسناد ففي بعضها جملة (فيعلمونها الناس) وفي البعض الآخر « فيعلمونها » فقط .

وحديثنا حول هذا الحديث سيدور حول افتراضين :

١ ــ لنفرض ان هذا من اخبار الآحاد ، وقد زيدت فيه جملة « فيعلمونها ... » او كانت موجودة وسقطت ــ وهذا الاحتمال

---

(١) ذكر صاحب وسائل الشيعة هذا الحديث في كتاب القضاء في الباب ٨ من ابواب صفات القاضي الحديث ٥٠ ، وكذلك في الباب ١١ الحديث ٧ مرسلا . وورد هذا الحديث في معاني الاخبار والمجالس بسندين يشترك بعض رجالهما في الاسم . وفي عيون اخبار الرضا بثلاثة طرق مختلفة .

اقرب الى الواقع ـ لاننا لا يمكننا اتهام الرواة ، لانهم ثلاثـة لا تربط بينهم اية روابط وكان احدهم يسكن بلخ والآخر مـن نيشابور ، والثالث من مرو ، ومن البعيد جدا ان يتواطأ هؤلاء ـ على ما بينهم من البعد وعـدم التعارف ـ على زيادة هـذه الجملة . اذن ، نحن يمكننا ان نقطع بأن جملة « فيعلمونها ... » في الرواية المنقولة بطريق الصدوق ، قد سقطت من قلم النساخ ، او ان الصدوق قد نسيها .

٢ ـ نفرض ان هناك روايتين ، احداهما تخلو من جملـة « فيعلمونها » والاخرى تشتمل عليها . ولنفرض ان هذه الجملة موجودة ، فالحديث لا يشمل ـ قطعا ـ اولئك الذين يكـون شغلهم الشاغل نقـل الحديث فقط ، من دون امعـان ، ونظر ، واجتهاد واستنباط وقدرة على التوصل الى الحكم الواقعي ، فلا يمكننا ان نصف امثال هؤلاء الرواة بأهليتهم للخلافة مـا داموا مجرد نقلة للحديث او كتبة له ، يسمعون الرواية فينقلونها الى الناس ، هذا مـع اعترافنا بقيمـة خدمتهم التي يقدمونهـا للاسلام ، فمجرد نقل الاحاديث وروايتها ليس امرا يؤهل الناقل او الراوي لخلافة الرسول ، لان بعض الرواة والمحدثين قد يكون مصداقا لعبارة « رب حامل فقه ليس بفقيه » . وهذا لا يعني انه لا يوجد في المحدثين والرواة اي فقيه ، فما اكثر المحدثين الفقهاء كالكليني ، والشيخ الصدوق وابيه ، فانهم كانوا فقهـاء يعلمون الناس . وحين نفرق بين الشيخ الصدوق والشيخ المفيد ،

لا تقصد ان الشيخ الصدوق ليس بفقيه ، او انه اقل فقاهة من المفيد ، كيف وقد نقل عن الشيخ الصدوق انه بين الاصول والفروع المذهبية في مجلس واحد . لكن الفرق بينهما ان الشيخ المفيد اكثر اجتهادا في الاستنباط ، واشد امعانا ودقة نظر في الروايات .

فالحديث يقصد به اولئك الذين يسعون في نشر علوم الاسلام واحكامه ، ويعلمونها الناس ، كما كان الرسول (ص) والائمة (ع) يعلمون ، وينشرون ويتخرج على ايديهم الالوف من العلماء . واذا قلنا : ان الاسلام دين العالم ــ وهذا واضح وبديهي ــ كان لزاما على علماء الاسلام ان ينشروا ويبثوا ويذيعوا احكام هذا الدين في العالم كله .

ولنفرض ان جملة « يعلمونها الناس ... » ليست من ضمن الحديث فلننظر ماذا يعني قوله (ص) « اللهم ارحم خلفائي ... الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي » ؟

وفي هذا الغرض ، فالحديث ايضا لا يعني الرواة من غير ذوي الفقه ، لان سنة الرسول هي سنة الله ، ومن اراد نشرها فعليه الاحاطة بجميع الاحكام الالهية ، مميزا بين الاحاديث صحيحها وغير صحيحها ، ويطلع على العام والخاص ، والمطلق والمقيد ، ويجمع بينها جمعا عرفيا عقلائيا ، ويعرف الروايات

الصادرة في ظروف التقية التي كانت تفرض على الائمة(ع) بحيث كانت تمنعهم من اظهـار الحكم الواقعي في تلـك الحـالات • فالمحدث الذي لم يبلغ مرتبة الاجتهاد ، وهو مكتف بنقل الحديث لا يستطيع التوصل الى حقيقة السنة ، وهو في نظر الرسول (ص) غير ذي بال • ومن المعلوم ان الرسول (ص) ما كان يريد للناس ان يكتفـوا بـ « قال رسول الله (ص) » او « عـن رسول الله (ص) » بغض النظر حتى عن طريق الرواية وسندها ، وانما كان يريد ان تنشر السنة على حقيقتها • ورواية « من حفظ على امتي اربعين حديثا حشره الله فقيها » وغيرها من الروايات التي تمجد من يسعى في نشر الاحاديث ، لا تعني المحدث الذي لا يفقه ما ينقل ، ولعله ينقل الى من هو افقه منه ، وانما تعني من يؤدي الى الناس احكام الاسلام الواقعية ، وهذا لا يتأتى الا على يد مجتهد فقيه يتوصل الى الاحكام الواقعية ، ويستنبطها مـن مصادرها على الموازين التي رسمها له الاسلام نفسه ، والائمة انفسهم • هؤلاء المجتهدون هم خلفاء رسول الله (ص) الذين ينشرون السنة وعلوم الاسلام ويبلغونها ويعلمونها الناس ، وبذلك يستحقون ان يدعو الرسول (ص) لهم بالرحمة من عند الله •

فلا شك اذن ان رواية : « اللهم ارحم خلفائي •• » لا علاقة لها بنقلة الحديث ورواته المجردين عن الفقه ، لان كتابة الحديث وحدها لا تؤهل الشخص لخلافة الرسول ، بل المقصود هم فقهاء

الاسلام الذين يبسطون تعاليم الاسلام وآدابه ، والذين يجمعون الى فقههم وعلمهم ـ العدالة والاستقامة في الدين .

الفقيه يميز بين الرجال الذين يصح الاخذ عنهم ، وبين من لا يصح الاخذ عنهم . ففي الرواة من يفتري على لسان النبي (ص) احاديث لم يقلها . ولعل راويا كسمرة بن جندب يفتري احاديث تمس من كرامة امير المؤمنين علي (ع) ، ولعل راويا لا يستنكف ان يروي آلاف الاحاديث في فضل الحكام الجائرين وحسن سلوكهم عن طريق اعوان الظلمة وعلماء البلاط ، تمجيدا بالسلاطين وتزكية لاعمالهم . ومثل هذا ـ كما ترون ـ واقع الان . ولا ادري لماذا يتمسك بعض الناس بروايتين ضعيفتين في مقابل القرآن الذي امر الله فيه موسى بالنهوض في وجه فرعون ، وهو احد الملوك ، وفي مقابل كل ما ورد من الاحاديث الكثيرة الآمرة بمحاربة الظالمين ومقاومتهم فالكسالى من الناس هم الذين يطرحون كل ذلك جانبا ليتمسكوا بروايتين ضعيفتين تزكي الملوك وتبرر التعاون معهم ، ولو كان هؤلاء متدينين لرووا الى جانب تينك الروايتين الضعيفتين مجموعة الروايات المناهضة للظلمة واعوانهم . مثل هؤلاء الرواة لا عدالة لهم ، لما بدر منهم من انحياز الى اعداء الله ، وابتعادهم عن تعاليم القرآن والسنة الصحيحة . بطنتهم دعتهم الى ذلك لا العلم ، وفي البطنة وفي حب الجاه ما يدعو الى السير في ركاب الجائرين .

اذن ، فنشر احكام الاسلام وعلومه مهمة يقوم بها الفقهاء العدول الذين في ميسورهم التمييز بين الحق والباطل ، ويعرفون ظروف التقية التي كان يعيشها الائمة (ع) ، هذه التقية التي كانت تتخذ لحفظ المذهب من الاندراس ، لا لحفظ النفس خاصة .

ولا مجال للشك في دلالة الرواية على ولاية الفقيه وخلافته في جميع الشؤون . والخلافة الواردة في جملة « اللهم ارحم خلفائي » لا يختلف مفهومها في شيء عن الخلافة التي تستعمل في جملة (علي خليفتي) .

وجملة « الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي » تبين شخصية الخليفة ، وليس فيها توضيح لمعنى الخلافة ، لان الخلافة كانت في صدر الاسلام من المفاهيم الواضحة ، وهي واضحة حتى عند السائل الذي لم يسأل النبي (ص) عن معنى الخليفة او الخلافة ، وانما سأله بقوله : ومن خلفاؤك ؟

ولم يكن احد يفسر منصب الخلافة على عهد امير المؤمنين(ع) وبالنسبة الى الائمة (ع) من بعده بأنه منصب الافتاء فقط ، وانما فسر المسلمون هذا المنصب بأنه الولاية والحكومة ، وتنفيذ امر الله ، واستدلوا على ذلك بما يطول ذكره . ولكن لماذا يتوقف بعضنا في معنى جملة « اللهم ارحم خلفائي » ؟ لماذا يظن هذا البعض ان خلافة الرسول محدودة بشخص معين ؟ وبما ان الائمة (ع) كانوا هم خلفاء الرسول ، فليس لغيرهم من العلماء ان يحكم

الناس ويسوسهم ، وليبق المسلمون بلا حاكم شرعي ، ولتبق احكام الاسلام معطلة ، وثغوره مفتوحة للاعداء . هذا الظن وهذا الموقف بعيد عن الاسلام ، لانه انحراف في التفكير يبرأ الاسلام منه .

*

محمد بن يحيى ، عن احمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن علي بن ابي حمزة قال : سمعت ابا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول : « اذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة ، وبقاع الارض التي كان يعبد الله عليها ، وابواب السماء التي كان يصعد فيها باعماله ، وثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء ، لان المؤمنين الفقهاء حصون الاسلام كحصن سور المدينة لها ... »(١)

* * *

في نفس الباب من كتاب الكافي رواية اخرى ورد فيها : « اذا مات المؤمن الفقيه ... » في حين يخلو صدر الرواية الاولى من كلمة الفقيه ، لكن يستفاد من ذيل روايتنا السابقة التي ورد فيها : « لان المؤمنين الفقهاء ... » ان كلمة الفقيه سقطت من صدر الرواية ، لانها تتناسب وقوله : « ثلم في الاسلام » وقوله « حصن » وامثالها من كل ما يتناسب وشأن الفقهاء المؤمنين .

---

(١) الكافي ، كتاب فضل العلم ، باب فقد العلماء ، الحديث الثالث .

قوله (ع) « لأن المؤمنين الفقهاء حصون الاسلام ... »
تكليف للفقهاء ان يحفظوا الاسلام بعقائده واحكامه وانظمته ، وليس هذا التعبير صادرا من الامام ثناء او اطراء او على سبيل المجاملة المتعارفة فيما بيننا حينما اقول لك حجة الاسلام ، وتقول لي مثل ذلك .

واذا اعتزل الفقيه الناس وامورهم ، وقبع في زاوية من داره ، ولم يحافظ على قوانين الاسلام ، ولم ينشرها ، ولم يعمل في اصلاح شؤون المجتمع ، ولم يهتم بالمسلمين ، فهل يمكن اعتباره حصنا للاسلام او سورا له ؟

اذا ارسل رئيس الحكومة شخصا الى ناحية صغيرة وامره ان يحفظها ويرعاها ، فهل يسمح له واجبه ان يغلق عليه ابواب داره ، ليرتع العدو ، ويعيث في تلك الناحية فسادا ، ام ان وظيفته تحمله على ان يبذل كل ما بوسعه في سبيل حفظ ورعاية ما ولي عليه ؟

اذا قلتم : نحن نحتفظ بعض الاحكام فأنا اتوجه اليكم بهذا السؤال .

ـ هل تقيمون الحدود ، وتنفذون قانون العقوبات في الاسلام ؟

ـ لا !

فأنتم هنا قد احدثتم صدعا في بناء الاسلام ، كان يجب عليكم رأبه ورتقه ، او منع حدوثه من اول الامر .

ـ هل تدافعون عن الثغور ، وتحافظون على سلامة ارض الاسلام واستقلالها ؟

ـ لا ! نحن ندعوا الله ان يفعل ذلك .

وهنا قد انهار جانب آخر مــن البناء الى جانب ما انهــار سابقــا .

ـ هل تجمعون حقوق الفقراء التي فرضها الله في اموال الاغنياء وتؤدونها الى اصحابها تنفيذا لما امرتم به في ذلك ؟

ـ لا ! ذلك ليس من شأننا . ان شاء الله يتحقق ذلــك على يد غيرنا .

ماذا بقي من البناء ؟ لقد اوشك البناء كله على الخراب ، مثلكم في ذلك كمثل شاه سلطان حسين واصفهان .

أي حصن للاسلام انتم ؟ ما يكاد يعهد الى احدكم بحفظ جانب الا اعتذر منه ! هل المراد من حصن الاسلام هو هذا الذي انتــم عليــه ؟ !

فقوله (ع) « الفقهاء حصون الاسلام » يعني انهم مكلفون بحفظ الاسلام بكل ما يستطيعون . وحفظ الاسلام من اهم الواجبات المطلقة بلا قيد ولا شرط . وهذا مما يجب على المجامع والهيئات العلمية الدينية ان تفكر في شأنه طويلا لتجهز نفسها بأجهزة وامكانات وظروف يحرس فيها الاسلام ويصان ويحفظ : احكاما وعقائد وانظمة ، كما حافظ عليه الرسول الاعظم (ص) والائمة الهداة (ع) .

نحن اكتفينا بمقدار يسير من الاحكام نبحث فيه خلفا عن سلف ، وطرحنا الكثير من مسائله وجزئياته ومفرداته . كثير من مسائله غريب علينا . والاسلام كله غريب ، ولم يبق منه الا اسمه ، فقد اغفلت عقوباته . والعقوبات الواردة في القرآن تقرأ كآيات ، فلم يبق من القرآن الا رسمه . نحن نقرأ القرآن لا لشيء الا لنحسن اخراج الحروف من مخارجها الطبيعية ، اما الواقع الاجتماعي الفاسد ، وانتشار الفساد في طول البلاد وعرضها تحت سمع الحكومات وبصرها او بتأييد منها للفجور والفحشاء واشاعتها ، فذلك امر لا شأن لنا به . حسبنا ان نفهم ان الزاني والزانية قد جعل لهما حد معين . اما تنفيذ ذلك الحد وغيره من الحدود فليس ذلك من شأننا !

نحن نسأل : اهكذا كان الرسول الاعظم (ص) ؟ هل كان يكتفي بتلاوة القرآن وترتيله من غير اقامة لحدوده ، وتنفيذ

لاحكامه ؟ هل كان خلفاؤه من بعده يكتفون بابلاغ الاحكام الشرعية الى الناس ثم يتركون الحبل على الغارب بعد ذلك ؛ ألم يكن الرسول (ص) ومن بعده يقيمون حد الجلد والرجم والحبس والنفي ؟ عودوا الى دراسة باب الحدود والقصاص والديات لتجدوا أن جميع ذلك من صميم الاسلام . الاسلام جاء لتنظيم المجتمع بواسطة الحكومة العادلة التي يقيمها في النـــاس .

نحن مكلفون بحفظ الاسلام ، وهذا من اهم الواجبات ولعله لا يقل اهمية عن الصلاة والصوم . وهذا هو الواجب الذي اريقت في سبيل أدائه دماء زكية . فليس ازكى من دم الحسين (ع) وقد اريق في سبيل الاسلام . علينا ان نفهم هذا ونفهمه الناس . انتم تكونون خلفاء الرسول (ص) اذا علمتم الناس وعرفتموهم بالاسلام على واقعه . لا تقولوا ندع ذلك حتى ظهور الحجة عليه السلام ! فهلا تركتم الصلاة بانتظار الحجة ؟! لا تقولوا كما قال بعض : ينبغي اشاعة المعاصي كي يظهر الحجة (ع) ! بمعنى ان الفواحش اذا لم تنتشر فان الحجة لن يظهر ! لا تكتفوا بالجلوس هنا للتباحث في أمور خاصة ، بل تعمقوا في دراسة سائر الاحكام . انشروا حقائق الاسلام . اكتبوا ، وانشروا فذلك سيؤثر في الناس باذن الله ، وقد جربت ذلك بنفسي .

الفقهـاء امنـاء الرسـل :

علي عن ابيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن ابي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الفقهاء امناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا ، قيل : يا رسول الله : وما دخولهم في الدنيا ؟ قال : اتباع السلطان ، فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم »(١) .

ولا يسعنا تتبع الرواية بتمامها ، فذلك يستلزم بحثا طويلا . علينا ان نمعن النظر في جملة : الفقهاء امناء الرسل .

لا بد اولا من معرفة واجبات ووظائف وصلاحيات ومجموعة اعمال الانبياء والرسل ، لنتوصل بعدها الى معرفة التكاليف التي كلف بها الفقهاء الذين ائتمنهم الرسل .

اهـداف الرسـالات :

بحكم ضرورة العقل لا ينحصر الهدف من بعثة الرسل في بيان وتوضيح الاحكام والشرائع التي يتلقونها بالوحي . فلـم

---

(١) الكافي ، كتاب فضل العلم ، الباب ١٣ ، الحديث ٥ ، وهذا من جملة ما رواه النراقي . وقد رواه المرحوم النوري في كتاب مستدرك الوسائل في الباب ٣٨ من ابواب ما يكتسب به ، الحديث ٨ نقلا عما ورد في كتاب النوادر للراوندي بسند صحيح عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ، وكذلك نقلا عن كتاب دعائم الاسلام في الباب ١١ من ابواب صفات القاضي ، الحديث ٥ عن الامام جعفر بن محمد عليهما السلام . وفي الكافي نفسه رواية اخرى بهذا المضمون عن ابي عبدالله عليه السلام قال : العلماء امناء ، والاتقياء حصون ، والانبياء سادة .

يكن الانبياء قد عينوا لاداء هذه الاحكام الى الناس بامانة تامة فحسب ، ولم يعهدوا الى الفقهاء ان يكتفوا ببيان المسائل التي اخذوها عنهم للناس • ولا تعني جملة « الفقهاء امناء الرسل » انهم مؤتمنون على النقل عنهم • فقد كان اهم ما كلف به الانبياء هو اقرار النظام العادل في المجتمع وتنفيذ الاحكام • وقد يستفاد ذلك كله من قوله تعالى : « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات ، وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط •• »(١) • فقد كان الهدف الحقيقي من بعثة الانبياء هو اقامة العدل والقسط في الناس ، وتنظيم حياتهم بموجب الموازين الشرعية ، ولا يتم ذلك الا بالحكومة التي تنفذ الاحكام وهذه الحكومة كما تتمثل في شخص النبي او الرسول ، تتمثل كذلك في الائمة (ع) وفي الفقهاء العلماء المؤمنين العدول من بعدهم • لان القيام على الناس واقرار الحق والنظام العادل فيهم مطلوب على كل حال •

حينما يقول الله : « واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى ••• » (٢) ويقول : « خذ من اموالهم صدقة •• » (٣) ، وغير ذلك من الاوامر ، فلا يعني ذلك ان الرسول (ص) مكلف بابلاغ ذلك الى الناس فحسب ، بل هو مأمور بالعمل به وتنفيذه ، مأمور ان يجبي هذه ضرائب من

(١) الحديد ٢٥
(٢) الانفال ٤٢
(٣) التوبة ١٠٤

اهلها ليصرفها في مصالح المسلمين ، ومأمور ان يشيع العدل فيهم ، ويقيم حدود الله ويحفظ ثغور المسلمين ، ويمنع البلاد من الاعداء ، ويمنع خزانة الامة ان يحيف عليها احد . وقد جاء في القرآن الكريم : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ... » (١) . وذلك لا يعني وجوب التصديق بما اخبرونا به فحسب ، وانما يقصد من ذلك العمل والاتباع ، فان في ذلك مجلبة لرضا الله ، لان الله تعالى يقول في موضع آخر من كتابه : «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله»(٢) فاطاعة الرسول اطاعة لله لان الرسول لا ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى . فاذا امر الرسول (ص) بالالتحاق ببعثة أسامة ، فلا يحق لاحد ان يتخلف او يراجعه في ذلك ؛ لان في ذلك معصية الرسول والرسول (ص) قد فوض اليه امر المسلمين فهو يدير شؤونهم ويرشدهم ويوجههم ، ويعين لهم الولاة والحكام والقضاء ، ويعزل منهم اذا لزم الامر .

*

الفقهاء امناء الرسل في قيادة الجيوش وادارة المجتمع والدفاع عن الامة والقضاء بين الناس :

والحديث السابق الذي يؤتمن فيه الفقهاء من قبل الرسل يشترط على الفقهاء الا يدخلوا في الدنيا ، لان الفقيه اذا كان

(١) النساء ٦٢

(٢) الحشر ٧

همه ان يجمع الحطام لم يكن عادلا ، ولم يعد مؤتمنا للرسول ، ومنفذا لاحكام شريعته ، فالفقهاء العدول هم وحدهم المؤهلون لتنفيذ احكام الاسلام واقرار نظمه ، واقامة حدود الله ، وحراسة ثغور المسلمين . وعلى كل فقد فوض اليهم الانبياء جميع ما فوض اليهم وائتمنوهم على ما اؤتمنوا هم عليه ، فهم يجبون الضرائب ، لينفقوها في مصالح المسلمين ، وهم يصلحون كل فاسد من امور المسلمين . وقد كان الرسول (ص) مكلفا بتطبيق الاحكام واقرار النظام . كذلك الفقهاء ، فاليهم الحكم ، وعليهم يقع عبء تنفيذ الاحكام ، واقامة حدود الله ، ومحاربة اعدائه ، والقضاء على كل منشأ للفساد .

الحكومة الملتزمة بالقانون :

وبما ان حكومة الاسلام هي حكومة القانون ، فالفقيه هو المتصدي لامر الحكومة لا غير . هو ينهض بكل ما نهض به الرسول (ص) لا يزيد ولا ينقص شيئا ، فيقيم الحدود كما اقامها الرسول ويحكم بما انزل الله ، ويجمع فضول اموال الناس كما كان ذلك يمارسُ على عهد الرسول (ص) ، وينظم بيت المال ، ويكون مؤتمنا عليه . واذا خالف الفقيه احكام الشرع ــ والعياذ بالله ــ فانه ينعزل تلقائيا عن الولاية ، لانعدام عنصر الامانة فيه . فالحاكم الاعلى في الحقيقة هو القانون ، والجميع يستظلون بظله ، والناس احرار من يوم يولدون فيه في تصرفاتهم

المشروعة ، فليس لاحد على غيره اي حق ، وليس لاحد ـ بعد تنفيذ القانون ـ ان يقسر احدا على الجلوس في مكان معين ، او الذهاب الى مكان معين بغير حق . فحكومة الاسلام تطمئن الناس وتؤمنهم ، ولا تسلبهم امنهم واطمئنانهم ، شأن الحكومات التي تشاهدون انتم كيف يعيش المسلم تحت بأسها خائفا يترقب ، يخشى في كل ساعة ان يهجموا عليه داره وينتزعوا منه روحه وامواله وكل ما لديه . وقد حدث مثل ذلك في ايام معاوية ، فقد كان يقتل الناس على الظنة والتهمة ، ويحبس طويلا ، وينفي من البلاد ، ويخرج كثيرا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله . ولم تكن حكومة معاوية تمثل الحكومة الاسلامية او تشبهها من قريب ولا بعيد . واذا قدر الله للحكومة الاسلامية ان تقوم ـ وليس ذلك على الله ببعيد ـ فالكل آمن على نفسه وماله واهله وما يملك ، لانه لا يحق لحاكم ان يخطو في الناس بما يتنافى وما قرر في الشرع الاسلامي الحنيف ، وهذا هو ما ترمي اليه كلمة « أمين » ، ومعلوم ـ كما سبق ـ ان الامانة لا تقتصر على الامانة في النقل او الرواية او الافتاء فحسب ، وانما تشمل الامانة في العمل والتطبيق والتنفيذ ، وان كانت امانة النقل والافتاء ذات شأن كبير . وقد كان الرسول (ص) وامير المؤمنين (ع) يقولون ويعملون ، وقد ائتمنهم الله على رسالته ، وقد ائتمن الرسل الفقهاء على ان يقولوا ويعملوا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، ويسيروا

في الناس بالقسط . فالاسلام يعتبر القانون آلة ووسيلة لتحقيق العدالة في المجتمع ، وسبيلا الى تهذيب الانسان خلقيا وعقائديا وعمليا وكانت مهمة الانبياء هي تجسيد القانون والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وان يسوسوهم ، ويقودوهم الى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة .

لقد تقدم في الحديث عن الامام الرضا (ع) قوله : « لو لم يجعل لهم اماما قيما حافظا مستودعا لدرست الملة ... »(١) ، وفي نفس هذه الرواية يقول : « الفقهاء امناء الرسل » ، ويستفاد من مجموع القضيتين ان الفقهاء هم الذين ينبغي ان يقودوا مسيرة الناس لئلا يندرس الاسلام . واندراس الاسلام فعلا وتعطل حدوده يرجع الى ان الفقهاء في بلاد المسلمين لم يتمكنوا من ولاية الناس ، وقد اثبتت التجربة رأي الامام (ع) في قوله : « لو لم يجعل لهم اماما .. لدرست الملة » .

ألم يندرس الاسلام ؟ أليس الاسلام مندرسا الان ؟ ألم تعطل احكامه في بلاد الاسلام العريضة ؟ هل تراعى تشريعاته ويتبع نظامه ؟ أليس الامر فوضى ؟ هل الاسلام هو هذا الحبر على الورق ؟ أفحسبتم ان ديننا ، حسبه في الحياة ان تجمع احكامه في كتاب الكافي ويوضع بعد ذلك على الرف ؟ هل يحفظ

---

(١) علل الشرائع ١٧٢/١ حديث ٩

الاسلام اذا قبلنا القرآن ووضعناه فوق رؤوسنا وتلونا آياته بصوت حسن أناء الليل واطراف النهار ؟

وقد انتهى الاسلام الى هذه النهاية المفجعة لاننا لم نفكر في تنظيم المجتمع ، واسعاده بواسطة حكومة اسلامية . وقد استعملت في المسلمين قوانين فاسدة جائرة تجافي تعاليم الاسلام ، لان الله لم يكن لينزل بها من سلطان . وقد كان الاسلام يندرس في اذهان بعض السادة الاجلاء ، وكاد ينسى الى حد حمل البعض على تفسير قوله (ع) « الفقهاء امناء الرسل » بأن ذلك يعني الامانة في حفظ المسائل ، ويفسر آيات القرآن والاحاديث الدالة على ولاية الفقهاء للناس في عصر الغيبة ، يؤول كل ذلك بتولي بيان المسائل وشرح الاحكام ! هل هذه هي الامانة ؟! أليس على الامين المؤتمن ان يحفظ احكام الاسلام حية حياتا واقعية ، ويحرسها من الاهمال والتعطيل ؟ أليس على الامين على بلد ان لا يترك المعتدين يتحركون بدون جزاء ؟ أليس عليه ان يمنع الفوضى ويحارب البدع والضلالات ، ويضرب على ايدي العابثين بأموال الناس وارواحهم ؟ اجل هذا ما تقتضيه الامانة ، ويقتضيه ائتمان الرسل اياهم .

بمن تناط مهمة القضاء ؟

عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن يحيى بن مبارك ، عن عبدالله بن جميلة ، عن اسحاق

بن عمار ، عن ابي عبدالله عليه السلام قال : « قال امير المؤمنين صلوات الله عليه لشريح : يا شريح ، قد جلست مجلسا لا يجلسه (ما جلسه) الا نبي ، او وصي نبي ، او شقي »(١) .

وكان شريح هذا قد شغل منصب القضاء قرابة خمسين عاما وكان متملقا لمعاوية ، يمدحه ، ويثني عليه ، ويقول فيه ما ليس له بأهل ، وكان موقفه هذا هدما لما تبنيه حكومة امير المؤمنين (ع) الا ان عليا (ع) لم يستطع عزله ، لان من قبله قد نصبه ، ولم يكن عزله ، بسبب ذلك ، في متناول امير المؤمنين ، الا انه (ع) اكتفى بمراقبته ، وردعه عن الوقوع فيما يخالف تعاليم الشرع .

القضاء من شؤون الفقيه العادل :

لئن كان قد وقع في مسألة الولاية خلاف ، فذهب بعض العلماء كالمرحوم النراقي والمرحوم النائيني الى ان للفقيه جميع ما للامام من الوظائف والاعمال في مجال الحكم والادارة والسياسة ، وذهب بعض الى ان ولاية الفقيه ليست من الشمول بحيث تكون ولاية الامام (ع) ــ لئن كان قد وقع في ذلك خلاف ، فلا ارى ان خلافا وقع في ان منصب القضاء من مختصات الفقيه العادل . نظرا الى ان الحديث شمل بالذكر « النبي ، والشقي ،

(١) وسائل الشيعة ، كتاب القضاء ، الباب ٣ الحديث ٢ من لا يحضره الفقيه ، الجزء ٣ ص ٤ رواه مرسلا .

والوصي » . ومعلوم ان الفقهاء ليسوا انبياء ، ولا شك انهم ليسوا في عداد الاشقياء فبالضرورة يصدق عليهم انهم «اوصياء». وبسبب غلبة استعمال كلمة « الوصي » في الوصي الاول امير المؤمنين (ع) ، لذا نرى البعض لا يأخذ بهذه الرواية كدليل على موضوعنا . وقد سبق ان قلنا انه لا ينبغي ان يتوهم متوهم ان منصب الحكم كان يرفع من منزلة الائمة (ع) ، اذ سياسة الناس والحكم فيهم لم يكن كل ذلك الا قياما بالواجب ، واحقاقا للحق ، وتقويما للمجتمع ونشرا للعدالة بين الناس . وقد كانت للائمة مراتب عالية ، ومنازل لا يعلمها الا الله ، ولا يكون لتعيينهم للخلافة او عدم تعيينهم لها في تلك المراتب مزيد اثر او نقصان ، لان هذا المنصب ليس هو الذي يرفع من شأن الانسان ، او يكسبه شأنا ، بل ان من يكون ذا شأن وفقه وصلاح يكون مؤهلا لاشغال هذا المنصب كجزء من واجباته الحياتية .

وعلى كل حال ، فنحن نفهم من الحديث ان الفقهاء هم اوصياء الرسول (ص) من بعد الائمة وفي حال غيابهم ، وقد كلفوا بالقيام بجميع ما كلف الائمة (ع) بالقيام به .

*

وحديث آخر يؤيد موضوعنا ، ولعله ارجح من الاول سندا ودلالة . وقد ورد عن الكليني بطريق ضعيف ، الا ان الصدوق رواه عن طريق سليمان بن خالد ، وهو صحيح ومعتبر .

« وعن عدة من اصحابنا ، عن سهيل بن زياد ، عن محمد بن عيسى ، عن ابي عبدالله المؤمن ، عن ابن مكان ، عن سليمان بن خالد ، عن ابي عبدالله عليه السلام قال : اتقوا الحكومة ، فان الحكومة انما هي للامام العالم بالقضاء العادل في المسلمين ، لنبي (كنبي) او وصي نبي . ورواه الصدوق باسناده عن سليمان بن خالد (١) .

فأنتم ترون ان من يحكم او يقضي بين الناس لا بد ان يكون اماما عالما بالقوانين والاحكام ، وان يكون عادلا ، وهذه الشروط لا تكون الا في نبي او وصي نبي . وقد بينت من قبل ان من البديهيات الفقهية ان منصب القضاء لا يحق الا للفقيه العادل ان يمارسه ، والفقيه يعني العالم بالعقائد والاحكام والانظمة والاخلاق الاسلامية ، اي محيطا بجميع ما جاء به الرسول (ص) . وقد حصر الامام (ع) القضاء بمن كان نبيا او وصي نبي ، وبما ان الفقيه ليس نبيا ، فهو اذن وصي نبي ، وفي عصر الغيبة يكون هو امام المسلمين وقائدهم ، والقاضي بينهم بالقسط ، دون سواه .

من المرجع في حوادث الحياة ؟

الرواية الثالثة توقيع صدر عن الامام الثانيعشر القائم المهدي (ع) ، وسنعرضه مع بيان كيفية الاستفادة منه :

(١) الوسائل ، كتاب القضاء ، الباب ٣ الحديث ٣ ، ٧/١٨ الطبعة الحديثة .

في كتاب « اكمال الدين واتمام النعمة » عن محمد بن محمد بن عصام ، عن محمد بن يعقوب ، عن اسحاق بن يعقوب ، قال : سألت محمد بن عثمان العمري ان يوصل لي كتابا قد سألت فيه عن مسائل اشكلت علي ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام : « اما ما سألت عنه ارشدك الله وثبتك ــ الى ان قال ــ : واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا ، فانهم حجتي عليكم ، وانا حجة الله ، واما محمد بن عثمان العمري ، فرضي الله عنه وعن ابيه من قبل ، فانه ثقتي ، وكتابه كتابي » (١) ٠

وطبيعي ان المقصود من الحوادث الواقعة ليس هو المسائل والاحكام الشرعية ، فالسائل كان يعرف مرجعه في هذه المسائل والاحكام ، وكان الناس يرجعون الى الفقهاء اذا اشكلت عليهم مسألة من مسائل الشرع واحكامه ، وقد كان ذلك يحدث حتى في زمن الائمة انفسهم اذا كان الناس بعيدين عن الامام ، وفي مصر غير مصره ، فالسائل المعاصر لاوائل غيبة الامام(ع) وهو على اتصال بنوابه ، ويراسل الامام ويستفتيه ــ لم يكن يسأل عن المرجع في الفتوى ، لانه كان يعرف ذلك جيدا ، انما كان يسأل عن المرجع في المشكلات الاجتماعية المعاصرة ، وفيما يجد من تطورات في حياة الناس ٠ فهو اذ تعذر عليه الرجوع في تلك

---

(١) الوسائل ١٨/١٠١ كتاب القضاء الباب ١١ الحديث ٩ ــ ورواه الشيخ الطوسي في كتاب (الغيبة) ورواه الطبرسي في (الاحتجاج) ٠

الامور الى الامام ، بسبب غيبته ، يريد ان يعرف المرجع في تقلبات الحياة وتطورات المجتمع والحوادث الطارئة ، وهو لا يدري ماذا يفعل . وقد كان سؤاله عاما لا يخص جهة معينة بالذكر فكانت الاجابة عامة كذلك مناسبة للسؤال . وكان الجواب كما عرفتم : ارجعوا الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله .

حجة الله تعني ماذا ؟ ماذا تفهمون منها ؟ هل تعني خبر الواحد ؟ هل معنى « حجة الله » ان صاحب الامر عليه السلام اذا اخبر عن الرسول بخبر فعلينا ان تأخذ به كما نأخذ بخبر زرارة ؟ هل هو حجة الله في بيان المسائل والاحكام فقط ؟ اذا قال الرسول (ص) اني جعلت عليا عليه السلام حجة عليكم ، فهل معنى ذلك : اني سأذهب واخلف فيكم عليا يبين لكم المسائل والاحكام ويوضحها ؟ ام ماذا ؟

حجة الله تعني ان الامام مرجع للناس في جميع الامور ، والله قد عينه ، واناط به كل تصرف وتدبير من شأنه ان ينفع الناس ويسعدهم ، وكذلك الفقهاء ، فهم مراجع الامة وقادتها . فحجة الله هو الذي عينه الله للقيام بأمور المسلمين ، فتكون افعاله واقواله حجة على المسلمين ، يجب انفاذها ، ولا يسمح بالتخلف عنها ، في اقامة الحدود ، وجباية الخمس والزكاة والخراج والغنائم وانفاقها ، وذلك يعني انكم اذا راجعتم ــ مع وجود

الحجة ــ حكام الجور فأنتم محاسبون على ذلك ومعاقبون عليه يوم القيامة . فالله ــ سبحانه ــ يحتج بأمير المؤمنين (ع) على الذين خرجوا عليه ، وخالفوا عن امره ، كما يحتج على معاوية وحكام بني امية وبني العباس واعوانهم ومساعديهم ، بما غصبوه من الحق ، وبما اشغلوه من المنصب الذي ليسوا له بأهل .

والله يحاسب حكام الجور وكل حكومة منحرفة عن تعاليم الاسلام ويأخذهم بما كانوا يكسبون ، ويحاسبهم على اموال المسلمين فيم انفقوها ويحاسبهم على ما بددوه من الاموال في حفلات التتويج ، وفي حفلات مرور ٢٥ قرنا على حكم السلاطين في ايران ، ماذا سيقول عند الحساب ؟ لعله يعتذر ويقول : ان ظروفنا الخاصة كانت تحتم ذلك ، وتدعو الى بناء اضخم القصور ، والى الاسراف والتبذير بغير حساب في حفلات التتويج وامثالها من اجل الشهرة وذيوع الصيت في العالم ! فانه يقال له : ألم يكن لك في علي (ع) اسوة حسنة ؟ ألم يكن حاكما للمسلمين ، واميرا على امة مترامية الاطراف ؟ هل كنت تفعل للناس اكثر مما فعله امير المؤمنين (ع) لهم ؟ هل كنت تريد ان ترفع للاسلام شأنا لم يرفعه علي عليه السلام ؟! أي الدولتين اكبر ، دولتك ام دولته ؟ دولتك لم تكن الا ولاية من ولايات دولته الى جانب مصر والعراق والحجاز واليمن ، ومع كل هذا ألم تعرف ان ديوانه كان في المسجد ، ودكة قضائه كانت في احدى زواياه ؟ وهو يعقد الوية الجيوش والعساكر في المسجد لتبدأ انطلاقها وتحركها من

المسجد ؟ ألم تر انهم كانوا يذهبون الى الحرب على يقين من امرهم والصلاة تملأ جوانحهم ؟ ألم تعرف كيف كانوا يتقدمون ويزحفون ، ويفتح الله على ايديهم الفتوح ؟

فالفقهاء اليوم هم الحجة على الناس ، كما كان الرسول (ص) حجة الله عليهم ، وكل ما كان يناط بالنبي (ص) فقد اناطه الائمة بالفقهاء من بعدهم ، فهم المرجع في جميع الامور والمشكلات والمعضلات ، واليهم قد فوضت الحكومة وولاية الناس وسياستهم والجباية والانفاق ، وكل من يتخلف عن طاعتهم ، فان الله يؤاخذه ويحاسبه على ذلك .

هذه الرواية التي نقلناها واضحة من دلالتها ، فان لم تبلغ مرتبة الدليل على رأينا في الموضوع فهي على الاقل مؤيدة ومساندة لما نراه ونذهب اليه .

* * *

هناك رواية اخرى تؤيد موضوع بحثنا ، بل تدل عليه ، وهي مقبولة عمر بن حنظلة ، وقد وردت فيها آية من الذكر الحكيم . فلنعرض الان بعض الآيات ، وندرسها الى حد ما لننتقل بعدها الى ذكر تلك الرواية وغيرها .

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

« ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ، واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا . يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ، واطيعوا الرسول ، واولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تأويلا »(١) .

يعتقد البعض ان المراد من الامانة هو ما يودع عند الفرد من مال الناس ، وما اودعه الله عند الناس من احكام شرعية يكون العمل بموجبها والالتزام بها ردا للامانة الى اهلها ، فتلك امانة الناس ، وهذه امانة الله . ويفسر آخرون الامانة بالإمامة ، وقد ورد ذلك في مضامين بعض الاحاديث اذ يبدي الامام ان المقصود من هذه الآية نحن الائمة ، فقد امر الله الرسول (ص) برد الامانة ــ اي الامامة ــ الى اهلها وهو امير المؤمنين (ع) وعليه هو ان يردها الى من يليه وهكذا ...

وفي ذيل الآية الاولى : « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » خطاب الى من يمسكون بأيديهم ازمة الامور ، وليس ذلك خطابا خاصا بالقضاة وان كان يصدر منهم الحكم لان القضاة جزء من الحكومة المهيمنة على امور الناس ، وليسوا هم الحكومة

---

(١) النساء ٥٨ و ٥٩

كلها . ومن المعروف في الدول الحديثة وجود ثلاث سلطات تتشكل منها الحكومة واجهزة الدولة ، هي السلطة القضائية والسلطة التشريعية والسلطة التنفيذية . فقوله تعالى : « واذا حكمتم ... » خطاب عام شامل لكل من تتألف منه الحكومة من افراد هذه السلطات . فالحكومة العادلة من مفردات الامانة التي يجب تسليمها الى اهلها ، ويجب على اهلها القيام عليها احسن قيام . فهذه الحكومة تعمل بموجب موازين القانون والشرع الشريف ، والقاضي فيها يحكم بالعدل والانصاف لا بالجور والظلم ، مستمدا احكامه من الدين الحنيف . والسلطة التشريعية فيها تدور في فلك التعاليم الشرعية والاحكام والقوانين الاسلامية العامة الشاملة ولا تتعداها ولا تتجاوزها ، وتعمل السلطات التنفيذية كما يريد لها الدين ان تعمل في الناس بما يسعدهم ويبعد عنهم شبح الفقر والجوع والتخلف ، وتعمل كذلك على اقامة الحدود وحفظ الامن والنظام ؛ كل ذلك باعتدال وتوازن من غير افراط او تفريط .

كان امير المؤمنين عليه السلام بعد قطعه يد السارق يعطف عليه ، ويرفق به ، ويعالج يده ، ويحسمها بالزيت ، حتى ليعود المقطوع من اشد الناس محبة له . وحين يبلغه ان جيش معاوية قد اغار على « الانبار » وان الرجل منهم ليأتي الذمية والاخرى المعاهدة فينزع عنها قرطها وخلخالها ـ كان يتفطر حزنا وألما ويقول : « فلو ان امرء مات من بعد هذا اسفا ما كان به ملوما،

بل كان به عندي جديرا » (١) • ومع هذه العواطف الجياشة ، كان يحمل سيفه اذا لزم الامر ليضعه في رقاب المفسدين الذين يعيثون في الارض فسادا • هذه هي العدالة !

رسول الله (ص) حاكم عادل ، فهو اذا امر باحتلال موقع ، او القضاء على طائفة مفسدة من الناس فقد حكم بالعدل ، لانه ان لم يفعل فقد خالف العدل ، وذلك لان حكمه منسجم دائما مع ضرورات مصالح المسلمين ، بل مع ضرورات الحياة البشرية كلها •

فالحاكم الاعلى لا بد ان يكون نظره في المصالح العامة ، ولا يعبأ بالعواطف ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، ولذا نرى ان كثيرا من المصالح الخاصة ذات الاثرة قد قضي عليها رعاية للمصلحة العامة • ونرى ان الاسلام حارب طوائف من الناس لما يصدر عنهم من الضرر ، فقد اتى الرسول (ص) على يهود بني قريظة عن آخرهم لما لمسه منهم من الاضرار بالمجتمع الاسلامي وبحكومته وبجميع الناس • فجرأة الحاكم وشهرته في الله عند تنفيذ امره واقامة حدوده من غير خضوع لعاطفة او انسياق لهوى ، وكذلك عطفه ورأفته وحنانه وشفقته بالناس ، هاتان الصفتان تجعلان من الحاكم كهفا يلجأ الناس اليه • واما هذا الذي نراه من خوف وقلق في ايامنا هذه ، فانما هو بسبب عدم شرعية

---

(١) نهج البلاغة ٦١/١

الحكومات الفعلية ، لان الحكومة اليوم تعطي مفهوم التسلط والاثرة والتجبر . اما في مثل حكومة الامام امير المؤمنين (ع) او في اية حكومة اسلامية حقيقية ، فلا خوف على الناس ولا هم يحزنون ، وللانسان ان يأمن كل الامن ما لم يخن او يظلم او يتجاوز حدود الله .

وقد ورد في الحديث ان قوله تعالى : « ان تؤدوا الامانات الى اهلها » يتعلق بالائمة (ع) وقوله : « واذا حكمتم بين الناس .. » يتعلق بالامراء ، وقوله : « واطيعوا الله .. » خطاب عام للمسلمين جميعا يأمرهم فيه ان يتبعوا اولي الامر – اي الائمة – ويأخذوا عنهم التعاليم ويطيعوا اوامرهم .

وقد عرفتم سابقا ان المقصود من طاعة الله ، اتباع امره في كل الاحكام الشرعية ، العبادية وغيرها ، وطاعة الرسول تعني اتباع اوامره كلها بما فيها مما يتصل بتنظيم المجتمع وتنسيقه وتهيئة القوى المعنوية والمادية للدفاع عن كيانه ، وان كان ذلك طاعة لله ايضا . فطاعتك للرسول (ص) هو امتثالك لاوامره الصادرة اليك ، فلو فرض عليك ان تلتحق بجيش اسامة ، او ترابط في الثغور ، او تدفع الضرائب او تجبيها او تعاشر الناس بالتي هي احسن ، لم يكن لك في كل ذلك ان تتخلف . وقد امرنا الله ان نأخذ ما آتانا الرسول وننتهي عما نهانا عنه ، كما امرنا ان نأخذ من اولي الامر الذين هم الائمة عليهم السلام ، مع العلم

ان اطاعة الرسول واطاعة اولي الامر هي اطاعة لله ، لان اطاعتنا اياهم امتثال لامر الله ايانا باتباعهم .

وفي ذيل الآية يقول : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا » .

والنزاع بين الناس قد يكون على امور حقوقية يعمل فيها القاضي بموجب البينات والايمان ، وقد لا يكون ذلك النزاع اختلافا على شيء حقوقي ، بل القضية قضية جزائية ، قضية ظلم او عدوان او قتل او سرقة وغيرها . في مثل هذه الحال يرفع الامر الى الجهات المسؤولة لتبدأ عملها في مثل هذه القضايا الجزائية او المزدوجة ــ اي الحقوقية الجزائية ــ احيانا ، وتصدر احكامها في ذلك الشأن قاضية فيها بما امر الشرع ان يقضى به .

فالقرآن يأمرنا برد كل هذه القضايا حقوقية كانت ام جزائية، الى الرسول باعتباره رئيس الدولة ، وهو بدوره مأمور ان يحق الحق ويبطل الباطل ، ومن بعده الائمة (ع) ومن بعدهم الفقهاء العدول .

وبعد ذلك يقول عز وجل : « ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا

الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به .. »(١) . والمقصود من الطاغوت كل هيئة وسلطة قضائية او حكومية تحكم او تقضي بغير ما انزل الله ، وتعمل في الناس بالجور والاثم والعدوان : وقد امرنا الله ان نكفر بمثل ذلك ، وان نتمرد على كل حكومة جائرة وان كان ذلك يكلفنا الصعاب ويحملنا المشاق .

* * *

والآن لننظر ماذا تقول له هذه المقبولة وما المقصود منها :

محمد بن يعقوب ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن عيسى ، عن صفوان بن يحيى ، عن داود بن الحصين ، عن عمر بن حنظلة :

« قال : سألت اباعبدالله عليه السلام عن رجلين من اصحابنا بينهما منازعة في دين او ميراث ، فتحاكما الى السلطان والى القضاة أيحل ذلك ؟ قال : من تحاكم اليهم في حق او باطل فانما تحاكم الى الطاغوت ، وما يحكم له فانما يأخذه سحتا وان كان حقا ثابتا له لانه اخذه بحكم الطاغوت وما امر الله ان يكفر به ، قال الله تعالى : « يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به » ، قلت كيف يصنعان ؟ قال : ينظران من كان منكم

---

(١) النساء ٦٢

ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف احكامنا ... فليرضوا به حكما فاني قد جعلته عليكم حاكما .. »(١) .

تحريم التحاكم الى حكام الجور :

لقد نهى الامام في مقام جوابه عن سؤال السائل ، عن الرجوع الى حكام الجو في المسائل الحقوقية او الجزائية نهيا عاما . وهذا يعني ان من رجع اليهم فقد رجع الى الطاغوت في حكمه وقد امر الله ان يكفر به . فالشرع يأمر ان لا تأخذ بما حكم به حكام الجور « فانما يأخذ سحتا وان كان حقا ثابتا له » ، فيحرم على المسلم ان يترافع اليهم في دين له على احد ، فيستوفي دينه بأمرهم وحكمهم ، فلا يجوز له التصرف فيما اعطي . ولقد قال بعض الفقهاء بأنه حتى في الامور العينية لا يجوز اخذ العين المملوكة ــ كالعباءة ــ والتصرف فيها اذا كان استردادها بأمرهم وحكمهم .

وكانت هذه المقبولة حكما سياسيا يحمل المسلمين على ترك مراجعة السلطات الجائرة واجهزتها القضائية ، حتى تتعطل دوائرهم اذ هجرها الناس ، ويفتح السبيل للائمة (ع) ومن نصبهم الائمة للحكم بين الناس . والغرض الحقيقي من هذه الرواية هو ان

(١) الوسائل ، ابواب صفات القاضي ، الباب ١١ الحديث ١ من المجلد الثامن عشر الصفحة ٩٨

لا يكون حكام الجور مرجعا للناس في امورهم ، لان الله قد نهى عن رجوع الناس اليهم ، وامر بتركهم واعتزالهم والكفر بهم وبحكمهم بسبب ظلمهم وجورهم وانحرافهم عن سواء السبيل .

علماء الاسلام هم مرجع الامور :

بموجب ما ورد عن الامام (ع) فالمرجع هو من روى حديثهم وعرف حلالهم وحرامهم ، ونظر بدقة في احكامهم بموجب ما لديه من الموازين الاجتهادية . والامام في جوابه عن السؤال الوارد في الرواية لم يترك غموضا او ابهاما ، واشترط في المرجع الى جانب روايته الحديث ان تكون له معرفة بالحلال والحرام ونظر دقيق وتبصر ، فناقل الحديث من غير نظر ومعرفة ليس مرجعا .

العلماء منصوبون للحكم :

يقول (ع) : « فاني قد جعلته عليكم حاكما » فعلى الناس ان يرضوا به حاكما يرجعون اليه في قضاياهم ومنازعاتهم ؛ ولا يحق لهم الرجوع الى غيره . ففي الفصل في الدعاوى يرجع الى من عينه الامام دون غيره ، وهذا الحكم الشرعي يعم المسلمين جميعا وليس مشكلة تخص عمر بن حنظلة ليكون الجواب الصادر عن الامام جوابا خاصا به . وكما كان امير المؤمنين(ع) يعين الولاة ويأمر الناس بالرجوع اليهم وطاعتهم ، فكذلك الامام الصادق (ع) باعتباره وليا وحاكما على المسلمين وعلى العلماء والفقهاء ، فقد

عين في ايام حياته ولما بعد وفاته حكاما وقضاة ، وذلك ما عبر عنه بقوله (ع) « جعلته عليكم حاكما » . والحكم هنا لا يقتصر على الامور القضائية ، بل يشتمل عليها وعلى غيرها . ويستفاد من هذه الآية والآيات المتقدمة والرواية ان جواب الامام لا يخص تعيين القضاة فقط ، وانما هو شيء اعم من ذلك . والرواية من الواضحات ولا تشكيك في سندها او دلالتها . ولا شك ان الامام قد عين الفقهاء للحكومة والقضاء ، والزم المسلمين كافة ان يأخذوا ذلك بنظر الاعتبار .

*

ومن اجل جلاء الموضوع وايضاحه اكثر ، ننتقل الى رواية ابي خديجة :

محمد بن حسن باسناده عن محمد بن علي بن محبوب ، عن احمد بن محمد عن حسين بن سعيد ، عن ابي الجهم ، عن ابي خديجة ، قال : « بعثني ابو عبدالله (ع) الى احد اصحابنا فقال : قل لهم : اياكم اذا وقعت بينكم الخصومة او تداري في شيء من الاخذ والعطاء ان تحاكموا الى احد من هؤلاء الفساق ، اجعلوا بينكم رجلا قد عرف حلالنا وحرامنا فاني قد جعلته عليكم قاضيا ، واياكم ان يخاصم بعضكم بعضا الى السلطان الجائر »(١) .

(١) الوسائل : ١٨/١٠٠ الحديث ٦

والمقصود من الفساق : القضاة الذين نصبهم ولاة الامور في ذلك الوقت • وفي حديث سابق نهى عن الرجوع الى سلاطين الجور وقضاة الجور ، وفي هذا الحديث نصب القاضي الذي ينبغي الرجوع اليه ، وفي مقبولة حنظلة نصب الحاكم المنفذ والقاضي ايضا • ويظهر من ذيل الحديث ان السلطان كان مرجعا لبعض المخاصمات غير ما كان القضاة مراجعا لها •

هل عزل العلماء عن منصب الحكم ؟

تتساءل الان عن الحكام والقضاة الذين عينهم الامام ايام حياته بموجب الاحاديث ، وحديث عمر بن حنظلة بشكل خاص . واوكل اليهم امور الحكم والقضاء بين الناس ، هل عزلوا عن مناصبهم بعد وفاة الامام ام لا ؟

نحن نعلم ان اوامر الائمة تختلف عن اوامر غيرهم • وعلى مذهبنا فان جميع الاوامر الصادرة عن الائمة في حياتهم نافذة المفعول ، وواجبة الاتباع حتى بعد وفاتهم ، فما هو الرأي بالنسبة الى من عينهم الامام بصفة خاصة او عامة كحكام او قضاة ؟

في الدول سواء الملكية منها والجمهورية او اي شكل آخر ، اذا توفي الرئيس او الملك او حدث انقلاب فان ذلك كله لا يؤثر على الرتب والمناصب العسكرية والادارية تلقائيا وان كان بامكان النظام الجديد او الحاكم الجديد ان يغير ويبدل في ذوي المنـ...

الا ان هذه الرتب لا تلغى تلقائيا • ونحن نرى ان بعض الامور يزول تلقائيا كما لو ان فقيها وكل شخصا في بلد معين او منـح اجازة حسبية لشخص فان ذلك يزول ويرتفع تلقائيا بموت الفقيه ، ولكن الفقيه اذا عين قيما على صغير ، او ولى احدا على وقف ، فان ذلك لا يتأثر بوفاة الفقيه ، وانما يبقى الامر على حاله باستمرار • فمن أي نوع يكون تعيين الفقهاء للحكم والقضاء بين الناس ؟

منصب العلماء محفوظ دائما :

نحن نعتقد ان المنصب الذي منحه الائمة (ع) للفقهاء لا يزال محفوظا لهم ، لان الائمة الذين لا تتصور فيهم السهو او الغفلة ، ونعتقد فيهم الاحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين ، كانوا على علم بأن هذا المنصب لا يزول عن الفقهاء من بعدهم بمجرد وفاتهم، واذا كان الامام يعرف ان امر هذا التعيين منوط بحياته لكـان ينبغي له ان يلفت انظار الناس الى ذلك ، بان يبين لهم ان منصب هؤلاء الفقهاء موقوت بحيـاة الائمة ، وبعدها يكون الفقهـاء معزولين •

اذن ، فالعلماء بموجب هذه الرواية ، قد عينوا من قبل الامام للحكومة والقضاء بين الناس ، ومنصبهم لا يزال محفوظا لهم • ولا نحتمل ان يكون الامام الذي تلا الامام الصادق (ع) قد عزل الفقهاء عن هذا المنصب ، لان هذا الاحتمال ضعيف وغير

وارد ، وان الامام عليه السلام نفسه ينهي عن الرجوع الى سلاطين الجور وقضاته ، ويعتبر الرجوع اليهم رجوعا الى الطاغوت ، ويتمسك بالآية الشريفة التي امر الله فيها ان يكفر بالطاغوت . فاذا كان الامام اللاحق قد عزل هؤلاء الفقهاء ولم يعين آخرين ، فالى من يرجع المسلمون في خلافاتهم ومنازعاتهم ؟ هل يرجعون الى الفساق والظلمة ، وحكم الطاغوت ، ام يكون فوضى وضياع للحقوق وأكل للمال بالباطل ، وتعد لحدود الله من غير رادع ؟!

نحن على يقين من ان الامام موسى بن جعفر (ع) لا يمكن ان ينقض ما جاء به الامام الصادق (ع) في هذا الموضوع وفي غيره . ولا يمكن ان يمنع من الرجوع الى الفقهاء العدول ، او يأمر بالرجوع الى حكم الطاغوت او يرضى بضياع الحقوق والاموال والانفس . فالامام لا ينقض الاسس العامة التي بينها وارشد اليها سلفه ، الا ان بامكانه التبديل والتغيير في اشخاص الحكام والقضاة في ايام حياته لمصلحة عامة تقتضي ذلك ، وذلك لا يعتبر نقضا لما تبناه سلفه .

واليكم رواية مؤيدة اخرى ، وقد كانت الروايات السابقة شديدة الظهور والوضوح ، وكلها تآزرت على اثبات ما ذهبنا اليه .

علي بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن حماد بن عيسى ، عن القداح (عبدالله بن ميمون) عن ابي عبدالله (ع) قال : قال رسـول الله (ص) : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاء به ، وانه ليستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الارض حتى الحوت في البحر ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر ، وان العلماء ورثة الانبياء ، وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، ولكن ورثوا العلم ، فمن اخذ منه اخذ بحظ وافر »(١) .

الحديث صحيح ، وحتى ابو علي بن ابراهيم (ابراهيم بن هاشم) فهو من كبار الثقاة في نقل الحديث . وقد وردت هذه الرواية باختلاف يسير في النص ، بطريق آخر ضعيف ، اي ان السند فيه من هو ضعيف وان كان باقي السند صحيحا ، وهذا الحديث ينتهي الى ابي البختري ، وهو ضعيف ، وبسببه يضعف الحديث .

* * *

عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن خالد ، عن ابي البختري ، عن ابي عبدالله (ع) قال :

---

(١) الكافي ج١ باب ثواب العالم والمتعلم ٣٤

« ان العلماء ورثة الانبياء ، وذاك ان الانبياء لم يورثوا درهما ، ولا دينارا ، وانما اورثوا احاديث من احاديثهم ، فمن اخذ بشيء منها فقد اخذ حظا وافرا ، فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ، فان فينا اهل البيت في كل خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

مقصودنا من نقل هذا الحديث الذي تمسك به المرحوم النراقي هو توضيح معنى جملة « العلماء ورثة الانبياء » الواردة هنا في هذا الحديث وهنا بحوث :

١ ــ ما هو المراد بالعلماء ؟ احتمل البعض ان يكون المراد هم الائمة . والصحيح ان المقصود هو علماء المسلمين ، بدليل ان الائمة لا يتصور ان من مناقبهم ان يقال فيهم مثل ذلك ، ولا يكون هذا الحديث معرفا لهم بأي حال ، وفي رواية ابي البختري ورد بعد جملة « العلماء ورثة الانبياء » قوله : « فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه » ولا يتصور هذا في الائمة عليهم السلام ، لان من اطلع على ما ورد في شأنهم ومنزلتهم عند رسول الله (ص) يقطع بان المقصود من العلماء في الروايتين ليس الائمة وانما العلماء . وهذه المنقبة للعلماء ليست كثيرة عليهم ولا غرابة فيها ، لكثرة ما ورد في شأنهم من الاعظام والتبجيل ، من قبيل : « علماء امتي كسائر الانبياء قبلي » و « علماء امتي كأنبياء بني

(١) الكافي : ٣٢/١

اسرائيل » ، وعلى كل حال فالمراد من العلماء هم علماء الامة الاسلامية .

٢ ـ لعل معترضا يقول : لا تستفاد ولاية الفقيه من جملة « العلماء ورثة الانبياء » لان هذه الوراثة قد تكون باعتبار ما اوتيه الانبياء من علم بالسنن والاحكام ، وهذا الاعتبار لا يتضمن ولاية شؤون الناس ، لان ولايتهم او امامتهم وقيادتهم انما تثبت باعتبار آخر غير الاعتبار الاول . ولم يكن الحديث صريحا كصراحة قولنا : « العلماء بمنزلة موسى وعيسى » ، حتى تستفاد من ذلك ولاية الفقهاء .

في رد هذا الاعتراض اقول : ان المقياس في فهم الروايات أخذا بظواهر الفاظها ، هو العرف والفهم المتعارف ، وليس التحليل العلمي والفحوص المختبرية . ونحن نصدر في فهمنا عن العرف . واذا قدر لفقيه ان يستعمل التحليل العلمي والدقة الفلسفية ، فانه قد تفوته اشياء كثيرة . واذا رجعنا الى العرف في فهم عبارة : « العلماء ورثة الانبياء » وسألنا العرف هل ان هذه العبارة تعني ان الفقيه بمنزلة موسى وعيسى (ع) ؟ لأجاب : نعم ! لان هذه الرواية تجعل العلماء بمنزلة الانبياء ، وبما ان موسى وعيسى من الانبياء ، فالعلماء بمنزلة موسى وعيسى . واذا سألنا العرف : هل ان الفقيه وارث رسول الله (ص) ؟ لاجاب : نعم ، لنفس ما سبق . فنحن لا نأخذ معنى النبوة على انه مجرد تلقي الوحي

او العلم بالسنن والاحكام ، ولئن كان هذا الاحتمال واردا في صيغة المفرد فهو غير محتمل في كلمة « الانبياء » بصيغة الجمع ، فورود كلمة الانبياء بصيغة الجمع ، انما يقصد به كل الانبياء ، لا بما هم انبياء مجردين عن غير تلقي الوحي ، بل بما هم اولياء ايضا . لان تجريد الانبياء عن كل صفة وكل شأن غير العلم والوحي ، وتنزيل العلماء منزلتهم في الاحكام بالسنن والشرائع فقط فهم خاطىء مخالف لعرف العقلاء .

٣ ـ وحتى لو نزلنا العلماء منزلة الانبياء بوصفهم انبياء فانه ينبغي اعطاء جميع احكام المشبه به للمشبه . مثلا : اذا قلت : فلان بمنزلة العادل ، ثم قلت : يجب اكرام العادل ، فنحن نفهم ان هذا الذي نزل منزلة العادل يجب اكرامه ، فنحن نستطيع ان نستفيد من قوله تعالى : « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم »(١) ان منصب الولاية ثابت للعلماء ايضا ، ببيان ان المراد من الاولوية في اقل تقدير هي الولاية والامرة كما ورد ذلك في مجمع البحرين تعقيبا على هذه الآية في حديث عن الامام الباقر (ع) أنه قال : « انها نزلت في الامرة ، يعني الامارة »(٢) . فالنبي ولي للمؤمنين ، وامير عليهم ، وكل ذلك ثابت للعلماء ، مع ان الآية ذكرت النبي بما هو نبي من غير اضافة اعتبار آخر .

---

(١) الاحزاب ٦

(٢) مجمع البحرين ٥٧ ، الطبعة الحديثة

٤ ــ ولعل هناك من يقول ان ميراث النبي (ص) منحصر في الاحاديث التي تركها ، ومن اخذ منها فقد ورث النبي (ص) ، ولا يثبت بذلك وراثة الفقيه منصب الولاية والامرة العامة . والحديث لا يزيد على توريث العلم ، وحديث ابي البختري يقول : « انما اورثوا احاديث من احاديثهم » .

هذا الاعتراض غير صحيح ، لانه قائم على اساس امتناع وراثة الولاية والامارة . ونحن ــ كما تعرفون ــ نصدر في فهمنا عن العرف ، فاذا سألنا عقلاء الدنيا عن وارث العرش الفلاني فهل يكون جوابهم : ان وراثة العرش غير ممكنة ؟ ام يذكرون لنا وريث العرش والتـاج ؟ والولاية كغيرها يمكن انتقالهـا الى الآخرين في نظـر عرف العقلاء . واذا نظرنا في قولـه تعالى : « النبي اولى بالمؤمنين مـن انفسهم » وتأملنـا في قوله (ع) : « العلماء ورثة الانبياء » عرفنا ان الولاية من الامور الاعتبارية التي يمكن انتقالها ، وذلك غير مستحيل عرفا . وحتى لو فرضنا ان جملة « العلماء ورثة الانبياء » واردة في الائمة (ع) على حد ما جاء في بعض الروايات فلا يراودنا الشك في ان المراد بهذه الوراثة هي وراثة الائمة للانبياء في جميع الامور ، لا في الاحكام والعلوم فحسب .

وعلى هـذا فاذا اخذنا بجملة « العلماء ورثـة الانبياء » واعرضنا عن صدر الرواية وذيلها ، كنا مع ذلك على يقين من ان

جميع شؤون الرسول (ص) قابلة للانتقال والوراثة ، ومن جملتها الامارة على الناس ، وتولي امورهم ، من كل ما ثبت للائمة (ع) من بعده وللفقهاء من بعد الائمة (ع) يستثنى من ذلك ما اختص به النبي (ص) نفسه ، بدليل خارجي ، ونحن نستثني ما استثناه الدليل ، ليكون كل ما لم يستثن باقيا على حاله ، ويكون العموم حجة فيه .

-وعمدة ما يقوي الشبهة السابقة ان جملة « العلماء ورثة الانبياء » وردت ضمن جمل تصلح ان تكون قرينة على ان المراد من الميراث فيها هو ميراث الاحاديث لا غير ، كما ورد في صحيحة قداح : « ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، ولكن ورثوا العلم » وفي رواية ابي البختري : « لم يورثوا درهما ولا دينارا ، وانما اورثوا احاديث من احاديثهم » وهذه تصلح قرينة على انحصار الارث في الاحاديث ، وان الانبياء لم يتركوا ميراثا سواها ، خاصة مع استعمال كلمة (انما) في الحديث الاخير وهي تستعمل في الحصر .

وهذه الشبهة واهية ، لانه ان كان ما ورثه النبي (ص) هو الاحاديث فقط دون سواها ، فان ذلك يخالف ضرورة المذهب، لان رسول الله الذي كان يلي من امور الناس كل شيء ، قد عين من بعده واليا على الناس امير المؤمنين (ع) ، واستمر انتقال الامامة والولاية من امام الى امام الى ان انتهى الامر الى الحجة القائم (ع) .

يضاف الى ذلك ان كلمة « انما » لم يثبت استعمالها للحصر دائما ، وكلمة « انما » غير موجودة في صحيحة قداح ، ولكنها جاءت في رواية ابي البختري ، وقد تقدم انها ضعيفة من ناحية السند •

لننظر في الصحيحة لنرى هل ان فيها قرينة تدل على انحصار الوراثة في الاحاديث ام لا ؟

« من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة •• » • في هذه الجملة ثناء على العلماء • وفي تعريف العالم ارجعوا الى ما ورد في الكافي من بيان صفاته ووظائفه لتعلموا ان هذا الوصف لا يطلق على اي كان بمجرد نيله قسطا يسيرا من العلم ، بل ان هناك شروطا وقيودا تجعل الامر صعبا •

« وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا به » • وهذا كناية عن الاحترام والاكبار والاجلال •

« وانه ليستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الارض حتى الحوت في البحر •• » • هذه الجملة بحاجة الى توضيح مفصل خارج عن نطاق بحثنا •

« وفضل العالم على العابد كفضل القمر على ساير النجوم ليلة البدر •• » ومعناها واضح •

« وان العلماء ورثة الانبياء .. » . وهذا من فضائل العلماء ومناقبهم بالاضافة الى ما تقدم من شأنهم في هـذا الحديث . ووراثة العلماء للانبياء انما تكون فضيلة اذا حلوا محل الانبياء في ولاية الناس وادارة جميع شؤونهم .

واما ذيل الحديث الذي ورد فيه : « ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما .. » ، فليس يعني انهم لم يورثوا سوى العلم والشريعة والاحكام ، وانما تعني هذه الجملة ان الانبياء بالرغم مما تولوه من شؤون الناس ، وما في ايديهم من السلطة والامرة ، لم يكن عندهم من الجشع ما يحملهم على الانشغال بطيبات الحياة وجمع الحطام ، والاهتمام بزخارف الحياة . وهـذا الاسلوب الحياتي البسيط الذي عاشه الانبياء على ما لديهم من الامر ، يختلف تماما عن الترف والبطر والبذخ الذي يمارسه السلاطين واعضاء الحكومات الحالية التي يكون تولي الامور فيها سبيلا الى الاثراء الفاحش غير المشروع .

وقد كانت حياة النبي (ص) في منتهى البساطة . لم يملك نفسه فيها شيئا من المال ، وقد ترك علما هو اشرف من المـال علما مصدره الوحي الالهي المباشر ، وانما ذكر العلم او الحديث في هذه الروايات ، في مقابل المال وحطام الحياة .

واذا فرضنا ان ما تقدم من الروايات يدل على ميراث العلم بالسنن والاحكام فقط ، ولم يورث النبي (ص) غير ذلك وحتى لو قال النبي (ص) علي وارثي ، فلنفرض انها لا تدل على خلافته وامرته وحكومته ، فنحن في هذا الفرض مضطرون للرجوع الى النصوص الاخرى التي تدل على خلافة علي بن ابي طالب (ع) وعلى ولاية الفقهاء •

* * *

في عوائد النراقي ص ١٨٦ الحديث ٧ عن الفقه الرضوي وردت هذه الرواية : « منزلة الفقيه في هذا الوقت كمنزلة الانبياء في بني اسرائيل » •

وبالطبع فنحن لا نعتبر كل ما ورد في الفقه الرضوي صحيحا ، ولكن نأخذ الحديث كمؤيد لموضوع بحثنا •

المراد من انبياء بني اسرائيل هم الفقهاء المعاصرون لموسى ولعلهم كانوا يسمون انبياء لجهة من الجهات ، وكان يتبعون موسى ويأخذون بسيرته في سلوكهم واعمالهم ، وكان حينما يبعثهم في وجه ، يوليهم شؤون الناس في وجههم ذاك ، ونحن لا نملك معرفة دقيقة مفصلة عن احوالهم ، ولكننا نعرف ان موسى (ع) نفسه كان نبيا من انبياء بني اسرائيل ، وكلما كان

رسول الاسلام (ص) قد كلف به ، فقد كلف به موسى من قبل — على تفاوت في الرتبة والشرف — فنحن نفهم من عموم كلمة المنزلة الواردة في الرواية ان ما كان يتولاه موسى من امر الحكومة وولاية الناس فهو ثابت للعلماء ايضا .

* * *

في جامع الاخبار عن النبي (ص) : « افتخر يوم القيامة بعلماء امتي ، وعلماء امتي كساير الانبياء قبلي » (١) .

في مستدرك الوسائل نقلت رواية عن (الغرر) بهذا المضمون : « العلماء حكام على الناس » ، ونقلت ايضا بلفظ : « حكماء على الناس » ، ولا اظن ذلك صحيحا ، لان ما جاء منقولا عن (الغرر) كان بلفظ « حكام على الناس » . وهناك مؤيدات اخرى من هذا النوع .

*

في تحف العقول تحت عنوان : « مجاري الامور والاحكام على ايدي العلماء » رواية مطولة . القسم الاول منها ينقل الامام الحسين عليه السلام عن ابيه امير المؤمنين ما قاله في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقسم الثاني خطاب وجهه سيد

---

(١) عوائد النراقي — نقلا عن جامع الاخبار — ص ١٨٦ الحديث ٦

الشهداء الحسين عليه السلام الى الناس في (منى) في شأن ولاية الفقيه وواجباته في محاربة الظلمة ودولهم ، والقضاء عليها ، واحلال الحكومة الاسلامية الشرعية محلها ، وذكر فيه اسباب اعلانه الجهاد ضد الدولة الاموية الجائرة . ويستفاد من هذه الرواية امران : احدهما : ولاية الفقيه ، والآخر ضرورة قيام الفقهاء بفضح حكام الجور ، وزلزلة عروشهم ، وايقاظ الناس وتوعيتهم ثم الوصول الى تحطيم الكيان الجائر ، واقامة كيان حكومي اسلامي شرعي محله ، والسبيل الى ذلك هو الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهذا هو النص :

« اعتبروا ايها الناس بما وعظ الله به اولياءه من سوء ثنائه على الاحبار اذ يقول : « لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون »(١) ، وقال : « لعن الله الذين كفروا من بني اسرائيل ـ الى قوله ـ لبئس ما كانوا يفعلون »(٢) . وانما عاب الله ذلك عليهم لانهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين اظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون والله يقول : « فلا تخشوا الناس واخشوني »(٣) ، وقال : « المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف

(١) المائدة ٦٦

(٢) المائدة ٨١

(٣) المائدة ٤٧

وينهون عن المنكر »(١) • فبدأ الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بانها اذا اديت واقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها ، وذلك ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء الى الاسلام مع رد المظالم ، ومخالفة الظالم ، وقسمة الفيء والغنائم ، واخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها •

ثم انتم ايتها العصابة عصابة بالعلم مشهورة ، وبالخير مذكورة ، وبالنصيحة معروفة ، وبالله في انفس الناس مهابة يهابكم الشريف ، ويكرمكم الضعيف ، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ، ولا يد لكم عنده ، تشفعون في الحوائج اذا امتنعت من طلابها ، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الاكابر • أليس كل ذلك انما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله وان كنتم عن أكثر حقه تقصرون ؟ فاستخففتم بحق الامة ، فأما حق الضعفاء فضيعتم ، واما حقكم بزعمكم فطلبتم ، فلا مالا بذلتموه ، ولا نفسا خاطرتم بها للذي خلقها ، ولا عشيرة عاديتموه في ذات الله • انتم تتمنون على الله جنته ومجاورة رسله واماناً من عذابه • لقد خشيت عليكم ايها المتمنون على الله ان تحل بكم نقمة من نقماته لانكم بلغتم من كرامة الله منزلة فضلتم بها ، ومن يعرف بالله لا تكرمون ، وانتم بالله في عباده تكرمون • وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون ، وانتم لبعض ذمم

---

(١) التوبة ٧٢

آبائكم تفزعون ، وذمة رسول الله (ص) محقورة ، والعمي والبكم والزمنى في المدائن مهملة لا ترحمون ، ولا في منزلتكم تعملون ، ولا من فيها تعينون ، وبالادهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون . كل ذلك مما امركم الله به من النهي والتناهي وانتم عنه غافلون . وانتم اعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تسمعون . ذلك بأن مجاري الامور والاحكام على ايدي العلماء بالله الامناء على حلاله وحرامه . فأنتم المسلوبون تلك المنزلة ، وما سلبتم ذلك الا بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة . ولو صبرتم على الاذى ، وتحملتم المؤونة في ذات الله كانت امور الله عليكم ترد وعنكم تصدر واليكم ترجع ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم واسلمتم امور الله في ايديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات . سلطهم على ذلك فراركم من الموت واعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم ، فأسلمتم الضعفاء في ايديهم ، فمن بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشته مغلوب ، يتقلبون في الملك بآرائهم ، ويستشعرون الخزي بأهوائهم اقتداء بالاشرار وجرأة على الجبار ، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع ، فالارض شاغرة وايديهم فيها مبسوطة ، والناس لهم خول لا يدفعون يد لامس ، فمن بين جبار عنيد وذي سطوة على الضعفة شديد مطاع لا يعرف المبدىء والمعيد ، فيا عجبا ومالي لا اعجب والارض من غاش غشوم ومتصدق ظلوم ، وعامل على

المؤمنين بهم غير رحيم . فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا ، والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا .

اللهم انك تعلم انه لم يكن ما كان منا تنافسا في سلطان ولا التماسا من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ، ويعمل بفرائضك وسننك واحكامك ، فانكم تنصرونا وتنصفونا قوى الظلمة عليكم ومن عملوا في اطفاء نور نبيكم ، وحسبنا الله وعليه توكلنا واليه أنبنا واليه المصير » .

فهو (ع) يقول : « اعتبروا ايها الناس بما وعظ الله به اولياءه من سوء ثنائه على الاحبار » . وهذا الخطاب لا يخص من واجههم الامام وشافههم من حاضري مجلسه ، او الموجودين في (منى) او الناس كلهم في ذلك العصر ، وانما هو عام يشمل جميع الناس في كل زمان ومكان وهو من ناحية عمومه وشموله نظير خطابه تعالى المتكرر في القرآن بقوله : « يا ايها الناس » . والمقصود بالاولياء في هذه الفقرة هم اهل الله المتجهون اليه الذين يتحملون مسؤولياتهم المعروفة ، وليس المقصود من ذلك الائمة عليهم السلام .

(١) تحف العقول ، حسن بن علي بن شعبه الحراني ، احد علماء ومحدثي القرن الرابع الهجري ، ٢٣٧

« إذ يقول : لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون » . وبديهي ان هذا اللوم والتوبيخ لا يخص علماء اليهود والنصارى ، بل يشمل علماء الاسلام ايضا اذا سكتوا على ما يرون من اعمال الجور والظلم . وبديهي ان هذا اللوم لا يخص جيلا سابقا من العلماء ، وانما الاجيال الماضية والحاضرة والتي ستوجد ، هم في ذلك سواء . فالامام امير المؤمنين (ع) يستشهد بالقرآن ليذكر علماء الاسلام ويحملهم على الاعتبار واليقظة واداء ما يجب من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وانكار الظلم ومنع اقراره والسكوت عليه . ويشير الامام في استشهاده بالآية الكريمة الى نقطتين :

١ ـ ان تقاعس العلماء وسكوتهم اشد ضررا من تقاعس من سواهم ، فالمخالفة او المعصية الصادرة من شخص عادي ، لا يتجاوز ضررها في الغالب نفسه ، بينما يكون فيما يصدر عن العالم من مخالفة ومعصية او سكوت على الظلم ضرر عظيم على الاسلام كله ، واذا عمل بواجبه على الوجه الاكمل وتكلم حيث ينبغي التكلم ، فان نفع ذلك يعود على الاسلام كله ايضا .

٢ ـ اعطاء اهمية بالغة لقول الاثم وأكل السحت، باعتبارهما من المنكرات البشعة ، ولعلها اشد خطرا من سائر المنكرات ويجب محاربتهما بشدة ، فبعض ما يصدر عن اجهزة حكام الجور من كلام او تصريح قد يكون اشد ضررا وخطرا على الاسلام

وسمعته من سياستهم المنحرفة واعمالهم الشريرة وغير المشروعة . فالله في هذه الآية يلوم كل من يسكت على قول الاثم ولا ينكره او يحاول تغييره ، وهو يدعو الى تكذيب كل من يدعي خلافة الله بغير حق او يدعي انه يمثل الدين في تصرفاته وافعاله المخالفة لاحكام الدين او يدعي العدالة لنفسه في حين تبرأ العدالة منه . وقد ورد في الحديث : « اذا ظهرت البدع في امتي فعلى العالم ان يظهر علمه والا فعليه لعنة الله » . فمخالفة العالم لاهل البدع ، وبيانه لاحكام الله وتعاليمه المناهضة للمبدعين والظلمة والعصاة ، يحمل عامة الناس على اكتشاف الفساد الاجتماعي ، الناتج عن مظالم الحكام الخائنين الفاسقين الكافرين ويحملهم بعد ذلك على مقاومتهم ومقاطعتهم او التمرد عليهم وعلى اوامرهم الصادرة عن مواقف الخيانة والظلم والفساد . فالعالم في مواقفه المتصلبة الشديدة يقود عملية النهي عن المنكر التي تستتبع ان يقتدي الناس به بمجموعهم وجماهيرهم ضد السلطة المنحرفة ، حتى اذا لم ترجع السلطة عن غيها ، ولم تلتزم بما امر الله ، وعمدت الى استخدام السلاح في وجوه الناس ، اعتبرها الناس حينذاك فئة باغية يجب على الناس قتالها حتى تفيء الى امر الله .

وانتم اليوم لا تملكون القدرة على مقاومة بدع الحكام ، او دفع هذه المفاسد دفعا تاما ، ولكن لماذا السكوت ؟ هؤلاء يذلونكم فاصرخوا في وجوههم على الاقل ، واعترضوا ، وانكروا ، وكذبوهم . لا بد في مقابل ما يملكون من وسائل

النشر والاعلام ان يكون في جانبكم شيء من تلك الوسائل حتى تكذبوا ما ينشرون وما يبثون من اجل ان تظهروا للناس ان ما يدعونه من العدالة ليس من العدالة الاسلامية في شيء . فالعدالة الاسلامية التي منحها اللـه للفرد والمجتمع والعائلة قد دونت وشرعت بكل دقة من اول يوم . يجب ان يكون لكم صوت مسموع حتى لا تتخذ الاجيال القادمة من سكوتكم ما يبرر اعمال الظلمة من قول الاثم وأكل السحت ، واكل اموال الناس بالباطل .

وما اشد ضيق التفكير لدى بعض الناس حين يتصور ان المراد من اكل السحت لا يكاد يتجاوز النقص في الميزان والبخس في المكيال ــ والعياذ بالله ــ ولا يدور في خلده ما يجري من أكل السحت بالاشكال الفظيعة الاخرى ، من اختلاس اموال الشعب كلها ، وابتلاع بيت المال كله . هؤلاء يسرقون نفطنا ، ويبيعونها في اسواق الاحتكارات الاجنبية تحت اسم الاستشارات. وعن هذا الطريق يصلون الى الاثراء غير المشروع . وتتعاون على نفطنا عدة دول اجنبية تستخرجه وتسوقه ، وتعطي قباله اجرا زهيدا تسلمه الى عملائها من الحكام ، ليعاد اليها مرة اخرى بكل وسيلة ممكنة ، واذا وصل الى خزينة الدولة شيء فلا يعلم الا الله كيف يصرف وكيف ينفق ومتى واين ؟ هذا أكل للسحت على نطاق عالمي ، وهو منكر فظيع خطر ليس هنالك ما هو اشد منه فظاعة وخطرا ونكرا . تأملوا في اوضاع مجتمعنا ، وفي اعمال

الدولة واجهزتها لتتبين لكم اشكال فظيعة من اكل السحت . فاذا حدثت زلزلة في مكان ما من البلاد غنم بذلك الحكام قبل المنكوبين اموالا طائلة . في المعاهدات والاتفاقيات المعقودة بين الحكام الخائنين مع الدول او الشركات الاجنبية ، تنصب في جيوب الحكام ملايين كثيرة ، وتنصب ملايين اخرى في جيوب الاجانب ، من دون ان يحصل ابناء الشعب على شيء من ثروات بلادهم . هذه اشكال من اكل السحت تجري بمسمع منا ومرأى ، ومما لا نعلمه كثير . ونظير ذلك يقع في الاتفاقيات التجارية وامتيازات التنقيب عن النفط واستخراجه ، وامتيازات استثمار الغابات ، وسائر الموارد الطبيعية ، والاتفاقيات العمرانية او ما يتصل بالمواصلات وشراء الاسلحة من الاستعماريين الغربيين او الشيوعيين .

يجب علينا ان نقاوم أكل السحت وانتهاب الثروات الوطنية، وهذا واجب على جميع الناس ، ولكن مهمة العلماء في هذا اشد وطأة واكثر اهمية ، ونحن يجب علينا في هذا الجهاد المقدس والواجب الخطير أن نسبق سائر الناس بحكم مهمتنا وموقفنا ؛ ولئن كنا اليوم نفقد القدرة على المقاومة وصد الخائنين وآكلي السحت ومنتهبي اموال الشعب ، وانزال العقوبة بهم ، فانه يجب علينا ان نسعى لتحصيلها بجميع الوسائل المشروعة ، وعلينا ان لا نفرط على الاقل ــ ونحن في مسيرتنا هذه نحو القوة ــ باظهار الحقائق ، وفضح عمليات السلب والنهب التي تعرض له

البلاد ، واذا وصلنا الى القوة فانا لا نكتفي بتحسين الاقتصاد ، والحكم بين الناس بالقسط ، بل نذيق هؤلاء الخونة المجرمين سوء العذاب بما كانوا يعملون .

لقد احرقوا المسجد الاقصى ، ونحن نصرخ : دعوا آثار الجريمة باقية ، في حين يفتح نظام الشاه اكتتابا في البنوك لاعادة بناء وترميم المسجد الاقصى ، وعن هذا الطريق يملأ جيوبه وخزائنه ويزيد في ارصدته ، وبعد ترميم المسجد يكون قد غطى وستر كل آثار الجريمة الصهيونية .

هذه مصائب احاطت بالامة ، ووصلت بها الى هذا المصير ، ألا ينبغي ان يقول العلماء في ذلك رأيهم ، ويصرخوا وينكروا ويقاوموا ؟ « لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت » .

ثم يقول الامام : « وانما عاب الله ذلك عليهم لانهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين اظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ، ورهبة مما يحذرون » .

فالله يعيب على المفرطين بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفا وطمعا ويقول : « ولا تخشوا الناس واخشوني » . لماذا الخوف ؟ فليكن حبسا ، او نفيا ، او قتلا ، فان اولياء يشرون انفسهم ابتغاء مرضاة الله « المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء

بعض يأمرون بالمعروف وينهون عـن المنكر ويقيمون الصـلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله » .

ثم يقول (ع) : « فبدأ الله بالامر بالمعروف والنهي عـن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها اذا اديت واقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها ، وذلك ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء الى الاسلام ، مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفيء والغنائم ، واخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها » . ولهذه العظائم شرع الاسلام وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا لصغار الامور فقط مما نرى ونسمع يوميا ، وان وجب انكارها والردع عنها .

ماذا يضر لو هب العلماء وصاروا يدا واحدة في وجه الظلم ؟ ما ضرهم لو اعترضوا جميعا وارسلوا البرقيات من جميع انحاء العالم الاسلامي يستنكرون فيها الاعمال الجائرة التي تقوم بهـا السلطات ؟ اذن لتراجعوا تحت تأثير ذلك الضغط الهائل ، فهم جبناء كما اعرفهـم ، ولكنهم حين عرفوا فينا الضعف جالـوا وصالوا .

أيام كان العلماء يداً واحدة ومن ورائهم الشعب في كـل انحاء البلاد تراجعت السلطة عن مواقفها قليلا ، ثم عادت لتغرس فينا بذور الشقاق والخلاف . ونتج عن ذلك ان تجرأت السلطة

فكانت بعدها تعمل ما تشاء وتختار ما كان لاحد من الناس الخيرة في امره .

فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء الى الاسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم ، فينبغي توجيه اكبر قدر من الامر والنهي الى العابثين بأرواح الناس واموالهم وممتلكاتهم . وقد تطفو على سطح بعض الصحف بعض اعمال السلب والاختلاس فيما يتعلق بالتبرعات الخاصة باغاثة منكوبي الفيضانات والسيول او الزلازل . احد علماء « ملاير » كان يقول : في حادثة ذهب ضحيتها الكثيرون ارسلنا سيارة شحن مليئة بالاكفان ، الا ان المسؤولين كانوا يمانعوننا في ايصالها ، ويريدون ان يأكلوها ! من هذا وامثاله من الآثام ورد التأكيد على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الآن اسألكم : ألا نعتبر بخطاب الامام حين يقول : ايها الناس ؟ ألسنا من الناس ؟ أليس الخطاب شاملا لنا ؟ هل كانت خطابات الامام مقصورة على اصحابه ومعاصريه ؟ وقد قلت سابقا ان تعاليم الائمة كتعاليم القرآن لا تخص جيلا خاصا وانما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر والى يوم القيامة يجب تنفيذها واتباعها . فكما يلام الاحبار والربانيون على سكوتهم الذي لا مبرر له كذلك يلام العلماء اذا سكتوا على الضيم ولم ينكروه او يحاولوا تغييره بكل ما اوتوا من قوة .

ويستمر الامام في التحدث الى الناس وتوجيه بعض اللوم اليهم فيقول : « والعمي والبكم والزمنى في المدائن مهملة لا ترحمون » . اتظنون ان ما تضج به اجهزة الاعلام صحيح كله ؟ اذهبوا الى القرى والارياف فلا تكادون تجدون في كل مائة قرية او مائتين مصحا او مستشفى واحدا ! لم يفكروا في الجياع العراة ، ولم يدعوهم يفكروا ، ولم يدعوا الاسلام يحل معضلتهم . فالاسلام ــ كما تعرفون ــ حل مشكلة الفقر وقرر في اول الامر : « انما الصدقات للفقراء .. » . وقد رتب الاسلام ذلك ونظمه ، ولكنهم لا يتركون للاسلام الى المسلمين سبيلا .

الامة تعيش حالة الشظف ، والسلطات تمعن اسرافا في الاموال ، وتمعن في زيادة الضرائب ، تشتري طائرات الفانتوم ليتدرب عليها الاسرائيليون ، وبما ان اسرائيل في حالة حرب مع المسلمين فكل من يساعدها ويساندها يكون هو بدوره في حالة حرب مع المسلمين ، وقد بلغ النفوذ الاسرائيلي في بلدنا حدا لا يطاق ، حتى ان العسكريين الاسرائيليين يتخذون من اراضينا قواعد لهم ، واسواقا لبضائعهم مما سيؤدي الى اندحار اسواق المسلمين تدريجيا .

وهكذا ترون ان الحديث كله يدور حول العلماء بالله عامة ، ولا يخص مفهوم « العلماء بالله » الائمة عليهم السلام ، لان علماء الاسلام علماء بالله وربانيون وحافظون لحدود الله وامناء على حلاله وحرامه .

وحين يقول (ع) : « ان مجاري الامور والاحكام على ايدي العلماء بالله الامناء على حلاله وحرامه » فهو لا يقصد علماء ذلك الجيل خاصة ، بل انما يقصد علماء امة بأكملها . واذا كان العلماء امناء على الحلال والحرام ، وجمعوا الى علمهم العدالة وحسن السيرة كان بامكانهم تولي الامور واقامة الحدود، واقرار نظام الدين ، فلا بؤس ولا مسكنة ولا مسغبة ولا تعطيل للاحكام .

هذه الرواية من مؤيدات بحثنا ، ولولا ضعف سندها لاعتبرناها من اقوى ادلة موضوعنا ان لم نقل ان مضامينها تدل على صحة صدورها عن المعصوم (ع) .

الى هنا ننتهي من بحث موضوع ولاية الفقيه . ولا حاجة الى الدخول في فروع البحث من رسم كيفية جباية الضرائب ، وعلى اي نحو تقام الحدود ، فتلك بحوث فرعية لا يتسع لها صدر هذا البحث . وقد بحثنا اصل الموضوع وهو ولاية الفقيه او الحكومة الاسلامية ، وتبين لنا ان ما ثبت للرسول (ص) والائمة (ع) فهو ثابت للفقيه . ولا شك يعتري هذا الموضوع ، وليس الموضوع جديدا ابتدعناه ، وانما المسألة بحثت من اول الامر .

عندما حكم المرحوم الميرزا الشيرازي بحرمة التنباك كان صادرا في حكمه عن موقف ولاية الفقيه العامة على الناس والفقهاء

للآخرين ، وكان فقهاء ايران ــ باستثناء قلة منهم ــ قد التزموا بهذا الحكم • ولم يكن حكمه ذاك قضاء في نزاع او خلاف بين اثنين ، وانما كان حكما حكوميا روعيت فيه مصالح المسلمين بحسب الوقت والظروف والملابسات وبارتفاع تلك الظروف ارتفع الحكم •

المرحوم ميرزا محمد تقي الشيرازي حين افتى بالجهاد ــ الدفاع ــ واتبعه العلماء في ذلك ، كان حكمه صادرا عن موقف حكومته وولايته الشرعية العامة •

وقد ذكرت لكم ان المرحوم النراقي ــ من المتأخرين ــ يرى ان جميع شؤون رسول الله (ص) ثابتة للفقهاء ، مع استثناء ما استثني من شؤونه الخاصة • وكان المرحوم الشيخ النائيني يقول : ان هذا الموضوع يستفاد كله من مقبولة (عمر بن حنظلة)•

وعلى كل حال فالموضوع ليس جديدا ، وقد اكتفينا بتقريب موضوع الحكومة الشرعية الى السادة الاجلاء ، واتباعا لامر الله في كتابه وعلى لسان نبيه (ص) فقد بينا ما تمس الحاجة اليه من المواضيع التي نحتاجها في حياتنا ، ولكن الموضوع هو الموضوع الذي فهمه واقتنع به الكثيرون •

وقد طرحنا الموضوع على بساط البحث ، فعلى اجيال الغد ان تتعمق بعزم وثبات وروح مثابرة لا سبيل لليأس والقنوط

اليها • وسيوفقون باذن الله الى التوصل الى تشكيل الحكومة ، وتنظيم سائر الشؤون بتبادل وجهات النظر المخلصة الموضوعية النزيهة ، وتتسلم باذن الله اعمال الحكومة الاسلامية ايد امينة عارفة خبيرة وحكيمة رسالية ذات عقيدة راسخة ، وتقطع ايدي الخونة ان تمتد الى الحكم او الوطن او بيت مال المسلمين ، وان الله على نصرهم لقدير •

سبيل النضال

من اجـل تشكيـل حكومـة اسلاميـة

علينا ان نسعى بجد لتشكيل الحكومة الاسلامية ، ونبدأ عملنا بالنشاط الدعائي وتتقدم فيه • ففي كل العالم على مر العصور كانت الافكار تتفاعل عند مجموعة من الاشخاص ، ثم يكون تصميم وتخطيط ، ثم بدء العمل ، ومحاولة لنشر هذه الافكار وبثها من اجل اقناع الآخرين تدريجيا ، ثم يكون لهؤلاء نفوذ داخل الحكومة يغيرها على النحو الذي تريده تلك الافكار ويريده ذووها او يكون هجوم من الخارج لاقتلاع اسسها واحلال حكومة قائمة على هذه الافكار محلها •

والافكار تبدأ صغيرة ثم تكبر ، ثم يتجمع من حولها الناس ، ثم تكتسب القوة ، ثم تأخذ بيدها زمام الامور • ولم تكن القوة ـ كما ترون ـ حليفة الافكار من اول يوم • وفي هذا كله ينبغي ان تتخذ من الشعب بكل قواه قاعدة رصينة يرتكز عليها ويركن اليها ، مع العمل الدائب على التوعية الجماهيرية من اجل فضح خطط الاجرام ، وكشف الانحراف الموجود لدى السلطات

الوقتية ، ويتم تدريجيا استقطاب الجماهير كل الجماهير ، ويتم الوصول بعدها الى الهدف .

انتم اليوم لا تملكون دولة ولا جيشا ، ولكن تملكون ان تدعوا فلم يسلبكم عدوكم هذه القدرة على الدعوة والتوجيه والتبليغ ، وعليكم الى جانب بيان المسائل العبادية ان تبينوا للناس المسائل السياسية في الاسلام ، واحكامه الحقوقية والجنائية والاقتصادية والاجتماعية ، واتخذوا من هذا محورا لعملكم . علينا من الآن ان نسعى لوضع حجر الاساس للدولة الاسلامية الشرعية ، فندعوا ونبث الافكار ، ونصدر تعليماتنا ، ونكسب المساندين والمؤيدين لنا ، ونوجد امواجا من التوجيه الواعي والارشاد المنسق للجماهير ليحصل رد فعل جماعي تكون على اثره جموع المسلمين الواعية المتمسكة بدينها على اتم الاستعداد النهوض بأعباء تشكيل الحكومة الاسلامية .

وعلى الفقهاء بيان المسائل والاحكام والانظمة الاسلامية وتقريبها الى الناس من اجل ايجاد تربة صالحة تعيش على سطحها النظم والقوانين الاسلامية . وقد ورد في الحديث كما سبق ان علمتم قوله (ص) : « يعلمونها الناس » .

ومسؤوليتنا اليوم ، في الوقت الذي تتعاون فيه كل قوى الاستعمار وعملائه من الحكام الخونة ، والصهيونية ، والمادية الملحدة ، على تحريف وتشويه الاسلام ـــ هذه المسؤولية اليوم ان

اكبر منها في اي وقت مضى . ها نحن نرى اليهود يعبثون بالقرآن ويحرفون الكلم عن مواضعه في طبعات للقرآن جديدة ينشرونها في الارض المحتلة وغيرها . علينا ان نكشف تلك الخيانة ، ونصرخ بأعلى اصواتنا حتى تفهم الناس ان اليهود وسادتهم الاجانب يريدون بالاسلام كيدا ، ويمهدون السبيل ليسود اليهود على هذا العالم كله ، واخشى ما اخشاه ان يصلوا الى مآربهم بسبلهم الخاصة . وبسبب من ضعفنا قد نصبح ذات يوم لنجد حاكماً يهوديا يحكم بلادنا ـ لا سمح الله ـ ، ومن جانب آخر فقد تعامل بعض المستشرقين مع المؤسسات الاستعمارية وعملوا سوية على تحريف الحقائق الاسلامية وهدمها . ودعاة الاستعمار جادون في العمل من اجل تضليل شبابنا في كل انحاء البلاد بأضاليلهم ، ومن اجل ابعادهم عنا . لا اقول انهم يحاولون تنصيرهم او تهويدهم ، بل حسبهم ان يعملوا على افسادهم ، وحملهم على نبذ الدين ، وعلى اللامبالاة ، وحسب الاستعمار نجاحا ان يتحقق هذا وامثاله .

في طهران تنتشر مراكز التبشير الكنيسي والصهيوني والبهائي ، لتضليل الناس وابعادهم عن تعاليم الدين ومبادئه . أليس تحطيم هذه المراكز من واجبنا ؟ هل ان يكفي ان نملك النجف ـ ونحن لا نملكها ايضا ـ ؟ هل نظل في « قم » لنكثر من مجالس العزاء ؟ أم ينبغي ان نعمل على توعية الناس بكل جد وحزم ؟ انتم شباب المراكز الدينية ، كونوا احياء ، واعملوا

على احياء امر ربكم ، والمحافظة على انظمته • يا جيل الشباب اجمعوا امركم واعملوا وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون • وتكاملوا ، اتركوا توافه الامور واعرضوا عن القشور ، وانهضوا بمسؤولياتكم • انقذوا الاسلام وانجدوه ، فالاسلام يستصرخكم، وخلصوا المسلمين من الاخطار المحدقة بهم • ها هم اولاء يميتون الاسلام باسم الدين وباسم الرسول (ص) ، فدعاتهم من اذناب الاستعمار قد انتشروا في طول البلاد وعرضها ، وغزوا الارياف والقرى والنواحي ، وعمدوا الى الاطفال والصبيان والشباب — وهم امل الاسلام — فأضلوهم السبيل • انهضوا لاسعاف هؤلاء الاحداث التائهين • انقذوهم • ساعدوهم • عليكم ان تبثوا علمكم ، فما ورد في العلماء من تمجيد وتكريم انما هو بسبب ما يقوم به العالم من تعليم الاخرين وانقاذهم من الضلال ، وعليكم ان تبذلوا قصارى جهودكم في ايصال مفاهيم الاسلام ونظمه الى الناس عامة • وعلينا ان نرفع الغشاوة التي وضعها الاعداء على الاسلام ، ونزيل عنه ما الحقوه به من غموض ، وبدون ذلك لا يكتب لنا التقدم • وعلينا ان نتواصى فيما بيننا ونوصي الآخرين ان يوصوا غيرهم بازالة هذا الغموض المفتعل ، والريب التي بثها الاعداء خلال قرون سحيقة في جميع الناس وحتى المثقفين منهم • نحن نوصي جيل الشباب ان يبينوا للاجيال عالمية الاسلام ، وتشريعاته الاجتماعية وكل ما يحتويه من انظمة ، وان يتحدثوا عما شرعه الاسلام في موضوع الحكومة ، كي يعلم الناس ما هو الاسلام وأية قوانين جاء بها •

على المجامع العلمية اليوم في « قم » وخراسان وفي كـل مكان ان يدلوا الناس الى طريق الاسلام ، ويعرضوا افكاره تحت ضوء الشمس • الناس يجهلون الاسلام ، ولا يكادون يفقهون عنه شيئا ، فعليكم ان تعرفوهم انفسكم وعقيدتكم ، وما ينبغي ان تكون عليه حكومتكم • عليكم ان تعرفوا العالم بذلك كله ، وتبثوا ذلك في صفوف الجامعيين بصورة خاصة ، لان اولئك اكثر تفتحا من غيرهم ، وثقوا بأن وراء ذلك نتائج حسنة ، وترحيبا شديدا سيستقبل به الاسلام في رحاب الجامعيين • الجامعيون اشـد الناس عداوة للتسلط والعمالة والخيانـة وعمليات نهب الخيرات والثروات وأكل السحت وسيجدون في الاسلام ـ الذي تبلغونه اليهم وفي تعاليمه في مجال الحكم والقضاء والاقتصاد والاجتماع ـ ما يستميلهم الى جانبه • هؤلاء الجامعيون يمدون ايديهم الى النجف يستعينون بذلك على فهم حقائق دينهم ! هل يجدر بنا ان نسكت ولا نتحرك حتى ينبهنا اولئك الجامعيون من غفلتنا ويحملونا على اداء واجبنا والقيام بدورنا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ! أليس هذا السكوت منا منكرا ؟ أليس عيبا علينا ان نهمل الامر ليواجهنا شباب من اوربا قد ألفوا تجمعـا اسلاميا يطلبون فيه منا العون الثقافي والارشادي والتوجيهي ؟

علينا ان نذكر الناس بما كانت عليه الحكومة الاسلامية في صدر الاسلام • علينا ان نقول لهم : ان دكة القضاء كانت في احدى زوايا المسجد في حين ترامت اطراف البلاد الاسلاميـة

وشملت ايران ومصر والحجاز واليمن وغيرها ، وحينما انتقل الامر الى الآخرين ـ مع الاسف ـ تحولت الخلافة والحكومة الشرعية الى ملك عقيم . علينا ان نذكر ذلك كله ونبين ملامح الحكومة التي ننوي تشكيلها ، ونوضح صفات الحاكم وواجباته واختصاصاته واخلاقه . كان قائد الامة واميرها قد ردع اخاه عقيلا ، واحمى له حديدة لئلا يطمع في اموال المسلمين ، وعاتب ابنته ان استعارت من بيت المال عقدا قائلا : لولا انها عارية مضمونة لكنت اول هاشمية تقطع يدها ، ثم رجعه في بيت المال . هذا هو الحاكم الذي نريد . لمثل هذا فليعمل العاملون ، وعلى مثل هذا فليتنافس المتنافسون . نحن نريد حاكما لا يأمرنا بشيء الا وقد سبقنا اليه ، ولا ينهانا عن شيء الا وقد انتهى عنه . نريد من يساوي بيننا جميعا امام العدالة وفي ميادين القضاء . نريد من يساوي بين الناس فيما لهم وفيما عليهم ، من غير تمييز او تفضيل . نريد من يحكم بالحق له ام عليه . نريد حاكما لا يحمل نفسه وعائلته وذويه على رقاب الناس . نريد حاكما يقطع ولده اذا سرق ، ويجلد ويرجم قريبه اذا زنى ، ويؤاخذ اخاه واخته اذا اتجروا بأطنان الهروئين كما يؤاخذ الآخرين اذا تعاطوا تهريب اليسير من الهروئين .

الاجتماع من اجل نشر المبادىء :

كثير من الاحكام العبادية تصدر عنها خدمات اجتماعية

وسياسية ، فمباديات الاسـلام عادة توأم سياساته وتدبيراته الاجتماعية . فصلاة الجماعة مثلا واجتماع الحج والجمعة تؤدي ـ بالاضافة الى ما لها من آثار خلقية وعاطفية ـ الى نتائج وآثار سياسية . استحدث الاسلام هذه الاجتماعات وندب الناس اليها ، وألزمهم ببعضها حتى تعم المعرفة الدينية وتعم العواطف الاخوية ، وتتماسك عرى الصداقة والتعارف بين الناس ، وتنضج الافكار وتنمو وتتلاقح ، وتبحث المشكلات السياسية والاجتماعية وحلولها .

في الدول غير الاسلامية تنفق الملايين من ثروة البلاد وميزانيتها ، من اجل عقد مثل هذه الاجتماعات ، واذا انعقدت فهي في الغالب صورية شكلية تفتقر الى عنصر الصفاء وحسن النية والاخاء المهيمن على الناس في اجتماعاتهم الاسلامية ، ولا تؤدي بالتالي الى النتائج المثمرة التي تؤدي اليها اجتماعاتنا الاسلامية . فقد وضع الاسلام حوافز ودوافع باطنية تجعل الذهاب الى الحج من اغلى اماني الحياة ، وتحمل المرء تلقائيا الى حضور الجماعة والجمعة والعيد بكل سرور وبهجة ، فما علينا الا ان نعتبر هذه الاجتماعات فرصا ذهبية لخدمة المبدأ والعقيدة ، لنبين فيها العقائد والاحكام والانظمة على رؤوس الاشهاد ، وفي اكبر عدد من الناس . فعلينا ان نفيد من موسم الحج ، ونجني منه اطيب الثمار في الدعوة الى الوحدة ، والدعوة الى تحكيم الاسلام في الناس كافة . وعلينا ان نبحث مشكلاتنا ،

ونكتشف ما وضعه لها الاسلام من حلول جذرية . علينا ان نسعى لتحرير ارض المسلمين في فلسطين وغيرها . وها نحن نرى المسلمين في الصدر الاول يجنون من جماعاتهم وجمعاتهم واعيادهم ومواقف حجهم احسن الثمار . لم تكن الخطب التي تلقي في الجمعات والاعياد والمواسم الاخرى قصرا على وعد ووعيد بجنة او نار وسورة خفيفة ودعاء خفيف او ثقيل كما نرى اليوم ، بل كانت الخطب قد تصل في ايحائها وتأثيرها الى اعداد الناس للقتال بكل شجاعة وبأس ، وقد تؤدي الى انطلاقهم الى جبهات القتال مـــن باحات المساجد والجوامع من دون ان يأخذهم في ذلك خوف من فقر او مرض او موت او ضياع لانهم كانوا يخافون الله وحده ولا يخشون احدا الا اياه ، ولمثل هؤلاء يكتب النصر ، ولمثل هؤلاء يكون الفتح ! انظروا في خطب امير المؤمنين (ع) لتعرفوا انها كانت تسوق المسلمين الى ميادين الجهاد ، وتحمل الناس على الفداء ، وتضع انجع الحلول لمشاكل الناس في الحياة .

ولو كانت الجمعة مستمرة الى يومنا هذا بخطبها وحماسها وروحها وآفاق التفكير فيها لما انتهى بنا الامر الى الحد الذي ترون . علينا ان نسعى لاعادة احياء مثل هـــذه الاجتماعات ، ونستغلها في التوجيه والارشاد والتوعية والقيادة الى الصلاح والنجاح . وبهذا يتم للافكار الاسلامية ان تسع اكبر الميادين ، وترتفع الى اعلى الآفاق من غير ان يعلوها شيء .

عاشــوراء جديـــد :

وكما تحتفظون بذكرى عاشورا الحزينة ، ولا تفرطون بها ، فلتكن المصائب التي جرت على دين الاسلام من اول يوم والى يومنا هذا عاشوراء جديدا تحيون ذكراه باستمرار • وانكم اذا تحدثتم عن الاسلام بكل اخلاص واظهرتم الناس على اصوله واحكامه وانظمته الاجتماعية ، فان الناس سيرحبون بهذا الدين ويتبعونه ، والله يعلم ان محبي الاسلام كثير ، ولكنهم لاكثر احكامه جاهلون • وقد جربت ذلك بنفسي • فحين القي كلمة ألمس في الناس تغيرا وتأثرا ، لان الناس ناقمون على اوضاعهم التي يعيشونها ، يملأ عليهم الخوف من الظالمين جوانحهم ، وهم بأمس الحاجة الى من يتكلم بشجاعة وثبات • يا ابناء الاسلام ، كونوا اشداء اقوياء في بيان حجتكم للناس لتغلبوا عدوكم بكل اسلحته وعساكره وحرسه • بينـوا الحقائق للجماهـير ، واستنهضوهم • وانفخوا في اهل السوق والشارع ، وفي العامل والفلاح ، والجامعي روح الجهاد • الجميع سيهبون للجهاد • الكل يطلب الحرية والاستقلال والسعادة والكرامة • اجعلـوا تعاليم الدين الاسلامي في متناول الجميع ، فهو للجميع وسترون انه سيقودهم الى الطريــق وينير لهم السبيل ، ويصحح لهـم افكارهم وعقائدهم ، ويحملهم على التضحية والفداء ، لتتحطم اجهزة سياسة الجور والاستعمار لتقوم على قدم راسخة اسس الحكومة الاسلامية •

على الفقهاء (حصون الاسلام) ان يبينوا للناس العقائد الحقة والانظمة الاسلاميـة وطرق الجهاد والنضال ، ويقودوا الناس ، فان الناس تنقاد لهم تلقائيا اذا لمسوا فيهم الاهلية والاخلاص ونكران الذات . وعندها سيكون في فقد امثال هؤلاء العلماء القادة مصيبة عظمى على الناس تترك في حياتهم فراغا مروعا ، وتحدث في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء . ومثل هذا الفراغ والثلم لا يحدث بفقدي انا او مثلي ممن يقبع في زاوية بيته ، وانما يحدث بفقد الامام الحسين عليه السلام والائمة من بعده ، ويشعر الناس بالخسارة ايضا بفقدان الخواجه نصير الدين الطوسي والعلامة واضرابهم ممن قدم خدمات جليلة للاسلام . اما انا وانت فماذا قدمنا للاسلام حتى ينطبق علينا مصداق الحديث ؟ لا فراغ يحدث عند موت ألف ممن يعمل على شاكلتنا ، لان حياتنا هي فراغ ، ولا ثلم يحدث في الاسلام عند موت الف منا لان حياتنا على ذلك النحو قد تكون هي ثلما في الاسلام ينبغي سده بغيرنا .

المقاومة على المدى الطويل :

ونحن لا نتوقع ان تؤتي تعليماتنا وجهودنا أكلها في زمن قصير ، لان ترسيخ دعائم الحكومة الاسلامية يحتاج الى وقت طويل وجهود مضنية ، ونحن نرى كثيرا من العقلاء يضعون حجرا ليبني عليه الآخرون بناه ولو بعد مائتي عام .

لقد سئل احد المعمرين وهو يغرس فسيلا عن نتيجة عمله التي سوف لا يدركها ، فقال مجيبا : غرسوا فأكلنا ، ونغرس فيأكلون . واذا كان نشاطنا لا يؤتي ثماره الا في جيل غير جيلنا فذلك لا ينبغي ان يثبط عزائمنا ، لان تقديم الخدمات للانسان لا ينبغي ان يتم على اساس المصلحة الفردية ، بل على اساس المصلحة العامة للمسلمين . فسيد الشهداء (ع) الذي ضحى بكل ما يملك لو كان منطلقا من التفكير الفردي لوضع يده في ايديهم وانتهى الامر ، وكانت تلك النهايـة من اغلى اماني الامويين . ولكن الحسين (ع) كان يفكر في الاسلام والمسلمين واجيالـه القادمة على المدى الطويل ، وكان نهوضه وتضحيته وجهاده من أجل ان ينتشر الاسلام ، وتظهـر احكامه السياسية ، ونظمـه الاجتماعية في اوساط الناس .

في رواية سابقة عن الامام الصادق (ع) ترون ان الامـام بالرغم مـن ظروف التقية المحيطة به ، وفقدانه للسلطـة يبين للمسلمين او يعين اسم الحاكـم والقاضي ، ويأمرهم بالرجـوع والتحاكم اليه . وعظماء الرجال يخططون للاجيال القادمة ، ولا يحزنهم ان لا يلمسوا آثار خططهم ما دام المستقبل كفيلا باعطاء النتائج والثمرات ، ولا يداخلهم اليأس حتى في ذل الاسر وفي أغوار السجون . ومن اجل الانتصار للاهداف الكبيرة فهـم يخططون في السجون لما يسعد الاجيال القادمة ، وليس كل همهم ان يصلوا الى ما يريدون . وكثير من الحركات والنهضات اخذت

شكلها النهائي بعد تمهيدات قد ترجع في بعض الاحيان الى ما قبل مائتين او ثلاثمائة من السنين •

الامام الصادق (ع) لم يكتف بوضع الخطوط العامة للحكومة او الدولة الاسلامية ، بل عين حاكمها ونصبه • وبالطبع لم يكن يريد بذلك التعيين عصره الذي يعيش فيه لانه هو الامام وهو الحاكم الشرعي ، ولكنه ينظر بذلك الى الاجيال الاخرى القادمة ، وكان تفكيره في امته اكثر من تفكيره في ذاته وشخصه • كان يريد ان يصلح البشر كل البشر ، والعالم كل العالم تحت ظل القانون الاسلامي العادل • وقد عين من يليق به الحكم حتى اذا تحسنت الاوضاع وعادت الى مجراها الطبيعي فلا عسر ولا حرج على المسلمين فيمن سيشغل منصب الحكم والقضاء وقيادة الناس •

والدين في اصله ، ومذهب الشيعة على الخصوص ، وكل الاديان قد بدأت على شكل تعاليم ، وبسبب ما اتسم به القادة والانبياء من عزم وثبات وحزم ـ كانت العقيدة تتقدم بخطى ثابتة •

كان موسى (ع) راعيا وحارسا سنين طويلة ، ويوم كلف بمجابهة فرعون لم يكن من يعينه على امره ، وبما لديه من قابليات ومواهب وقوى استطاع بعصاه ان يبدد ملك فرعون • لا تتصوروا ان عصى موسى لو كان بيدي او يد احد منكم ، كانت

تعمل شيئا ، لانه ليس لدينا تدبير موسى وهمته وجديته في عمله ، وليس ذلك متيسرا لكل احد . وكان رسول الله (ص) اذ صدع بالرسالة لا يملك من اسباب القوة الا صبيا لم يتجاوز العاشرة هو علي بن ابي طالب (ع) وامرأة متقدمة في العمر هي زوجه خديجة ، فقد آمنا به ونصراه واعاناه على امره ، وكان سائر الناس يؤذونه ويعاندونه ويكذبونه ، ولكن اليأس لم يكن له الى النبي (ص) وناصريه سبيل . فقد ثبتوا بعزم وصبر وحزم حتى ظهر امر الله ، وخسر هنالك المبطلون ، وضرب الاسلام اوتاده في شرق الارض وغربها حتى ليؤمن به اليوم ما لا يقل عن سبعمائة مليون مسلم .

وبدأ مذهب الشيعة من نقطة الصفر . وحين وضع الرسول (ص) اسس الخلافة قوبل بالاستهزاء والسخرية ، وذلك حين جمع قومه ، وأولم لهم ، وقال لهم فيما قال : من يكون خليفتي ووصيتي ووزيري على هذا الأمر ؟ فلم ينهض الا علي(ع) ولم يبلغ الحلم حينذاك . وعندئذ قال احدهم لابي طالب محرضا : ان ابن اخيك يريد ان تسمع لابنك وتطيع !

وفي غدير خم في حجة الوداع عينه النبي (ص) حاكما من بعده ، ومن حينها بدأ الخلاف يدب الى نفوس قوم . ولو كان النبي (ص) قد عين امير المؤمنين (ع) مفتيا ومفسرا للقرآن ومبينا للاحكام فحسب ، لم يعارضه احد ! ولكنه عورض وحورب

وقوتل لانه الحاكم المهيمن الشرعي على شؤون العباد والبلاد . وانتم اذا قبعتم في عقر دوركم فلا شيء عليكم ، ويوم تريدون الظهور في المجتمع كعنصر اصلاح او تغيير بما انتم عليه من قوى كبيرة ، فان الحرب ستعلن عليكم . وبسبب من مواقف الائمة وشيعتهم من نظرية الحكم والادارة في الاسلام نالهم ولا يزال ينالهم ما تعرفون من الاذى والبلاء والعناء ، ولكنهم لم ييأسوا ، فما زال الامل يملأ جوانحهم ، وما زال عدد الشيعة في ازدياد حتى انهم اليوم في حدود المائتي مليون شيعي .

اصلاح الهيئات الدينية :

قيادة الامة الى الصلاح ، ومعرفة الاسلام على وجهه ، تستلزم صلاح اهل العلم وحملة الشريعة ، بمعنى ضرورة تكامل نشاطهم التعليمي ، والاعتماد على النفس ، والثقة بها ، واجتناب الكسل والوهن والضعف والنكول ، ومحاولة محو آثار ما ينشر في الناس من اباطيل ، وتهذيب الافكار المتحجرة المنفرة في صفوف البعض منا ، وطرد فقهاء القصور الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم من صفوفنا ، وابعادهم عن زينا ، وتعريتهم ، وفضح اعمالهم .

ازالة آثار العدوان الاستعماري الفكري والخلقي :

مرت القرون وعملاء الاستعمار ، واجهزة دوائر التربية ، ودوائر السياسة تنفث السموم في افكار الناس واخلاقهم حتى

افسدوها ، والناس في ريب مـن امرنا بسبب هذه السـموم ومجامعنا وهيئاتنا الدينية هي بدورها تحتاج الى اصلاح : ولا بد كذلك من اجتثاث جذور الافكار السقيمة الوافدة من الخارج، ومحاربة كل سوء وفساد وانحراف في المجتمع .

نحن نلاحظ وجود اناس متأثرين بتلك السموم بين صفوفنا فنرى البعض منهم يسر الى الآخر : ان هذه الاعمال لم تخلق لنا ولم نخلق لها . ما نحن وذاك ؟ نحن ندعوا الله ونبين المسائل . هذا المنطق نتيجة ما يلقيه الاجانب في روع الناس من مئات السنين : وهذا هو الذي يجعل القلوب في النجف وقم وخراسان حائرة هزيلة واهنة غير راشدة ، وحجتها في ذلك : ان ذلك ليس مـن شأننا .

هذه افكار خاطئة . فهل توجد عند الحكام الفعليين مـن القابليات والمواهب اكثر مما عندنا ؟ أيهم كان جديرا بزعامة الناس وقيادتهم ؟ ألم يكن بعضهم اميا ؟ اين تثقف حاكم الحجاز ؟ ألم يكن رضا خان(١) من جهال الناس ؟ وها هو التاريخ يحدثنا عن جهال حكموا الناس بغير جدارة ولا لياقة . هارون الرشيد ، اية ثقافة حازها ؟ وكذلك من قبله ومن بعده !

وعلينا ان نستفيد من ذوي الاختصاص العلمي والفنـي فيما يتعلق بالاعمال الادارية والاحصائية والتنظيمية واما مـا

---

(١) والد « شاه » ايران الحالي

يتعلق بالادارة العليا للدولة ، وبشؤون بسط العدالة وتوفير الامن واقرار الروابط الاجتماعية العادلة ، والقضاء والحكم بين الناس بالعدل ، فذلك ما يختص به الفقيه ، ويفني فيه كل ايام حياته ، وهو يملك ما يحفظ للناس حريتهم واستقلالهم وتقدمهم، ضمن سياسة مستقيمة لا نفوذ فيها لاجنبي ، ولا انحراف فيها الى يمين او يسار .

اخرجوا من عزلتكم ، واكملوا برامجكم الدراسية والارشادية واركبوا الصعاب في سبيل ذلك . وخططوا للحكومة الاسلامية ، وتقدموا في خططكم ، وكونوا في ذلك يدا واحدة مع كل من يطالب بالحرية والاستقلال ، فانكم ستصلون الى اهدافكم يقينا . اعتمدوا على انفسكم . وانتم ستزيد خبرتكم وتجاربكم في طريق نضالكم الذي يرعب الاستعمار ويرهبه . انا على يقين انكم قادرون على ادارة دفة الحكم عند تقويض اسس الجور والظلم والعدوان . وكل ما تحتاجون اليه من قوانين ونظم فهو موجود في اسلامنا ، سواء في ذلك ما يتصل بادارة الدولة ، والضرائب ، والحقوق ، والعقوبات وغيرها . لا حاجة بكم الى تشريع جديد ، عليكم ان تنفذوا فقط ما شرع لكم . وهذا يوفر عليكم الكثير من الوقت والجهد ، ويغنيكم عن استعارة قوانين من شرق او غرب . كل شيء ــ ولله الحمد ــ جاهز للاستعمال ، ويبقى تنظيم الوزارات واختصاصاتها واعمالها ووظائفها ، وذلك يتم على ايدي الاختصاصيين بأسرع وقت .

ومن حسن الحظ ان الشعوب الاسلامية معكم والجماهير تتبعكم وتقتفي آثاركم وتقتدي بكم ، وسيشتد ساعدكم ، وكلما يفقدنا هو « عصا موسى » و سيف علي بن ابي طالب (ع) وعزيمتهما الجبارة ، واذا عزمنا على اقامة حكم اسلامي سنحصل على عصى موسى وسيف علي بن ابي طالب (ع) ايضا .

نعم ! يوجد فينا افراد مهملـون مغمورون لا يكـادون يحسنون شيئا ، ولا يكتبون ورقة علم ولا يفتحون افواههم بكلمة فيها هداية ، ولا يكادون يفهمون حديثا من شؤون الحياة ، وقد اذعنوا بأن لا قابلية فيهم نتيجة لما بثه العملاء فينا من امثال هذه العبارات : ما انت وذاك ؟ عليك بدرسك ، اذهب الـى مدرستك . وها نحن الان نعجز عن اقناع البعض منا بالخطـأ الذي وقعوا فيه من الاعتزال والاهمال وعدم الاهتمام بشؤون المسلمين .

بينوا للناس برامج الاسلام في حكومته ، وضحوا ذلـك للعالم ، فلعل حكام ورؤساء المسلمين ان يقتنعوا بصحة هـذا ويتبعوه ، ونحن لا ننافسهم على الكراسي ، بل نترك من كان منهم ثابتا وامينا على التنفيذ في مكانه .

علينا ان نشكل الحكومة الامينة التي يركن الناس اليهـا ويثقون بها ، ويسلموها امورهم كلها . نحن نريد من ينهض بالامر بأمانة واخلاص ليعيش الناس في ظـل حكمه آمنين .

والله يعلم ان اهليتكم وجدارتكم لتولي امور الناس لا تقل عن الآخرين ، سوى اننا لا نملك الاقدام على القتل بغير حق ، وعلى الجور والخسف ، لان ذلك ليس من اختصاصنا .

احد رجال الدولة في ايران يخاطبني في السجن ، وكان معي السيد القمي ـ سلمه الله ـ ولا يزال مضطهدا : « السياسة خبث وكذب ونفاق ، اتركوا ذلك لنا » . هذا صحيح . ولئن كانت السياسة لا تعني الا هذه الامور فهي بهذا المعنى من شؤونهم ، ولكن السياسة في الاسلام والسياسة لدى الائمة (ع) الذين هم ساسة العباد ـ كما ورد في الزيارة ـ لا تعني ما قاله لي ذلك الرجل . ذلك الرجل اراد خداعنا والتمويه علينا . وفي اليوم التالي ظهرت الصحف لتعلن : « انه تم الاتفاق والتفاهم على ان لا يتدخل رجال الدين في السياسة بعد اليوم » . وبعد الافراج عني رقيت المنبر وكذبت تلك الانباء الصحفية التي نشرت في حينه ، وقلت : « ان الرجل ليكذب ، وان كل من يقول بذلك من رجالنا يجب نفيه من البلاد » .

وهؤلاء ـ كما ترون ـ قد القوا في روعكم ان السياسة خبث ومكر ودهاء ، ليصرفوكم عنها ، وليعبثوا بأمور الامة ما شاءت لهم انفسهم ، ولينفذوا ما يريدون بوحي من سادتهم الانكليز والامريكان الذين تزايد نفوذهم في بلادنا في الاونة الاخيرة .

واذ كنت في همدان تقدم الي رجل فاضل وبيده خارطة وضعت عليها اشارات حمراء تشير الى كنوز المعادن المذخورة تحت ارض بلادنا ، ولقد توصل الى معرفة ذلك الخبراء الاجانب فعرفوا اين يوجد الذهب ، واين يوجد النحاس ، واين يوجد النفط ، وجاسوا خلالنا وايقنوا ان العقبة الوحيدة التي تحول دون تنفيذ اطماعهم ، هي الروحانية القوية وتعاليم الدين الحنيف . اولئك الاعداء عرفوا الطاقات الكامنة في الاسلام ، وحسبوا لها الف حساب ، وعلمهم التأريخ ان الاسلام قد انفتحت له ابواب اوربا ليحكمها في حقبة طويلة من الزمن ، واذن فالاسلام الواقعي لا يتلاءم وما يريدون . ولمسوا من جانب آخر ان العلماء الحقيقيين لا يمكن ان يسايروهم او يواكبوهم لهذا كله ، فقد انصبت محاولاتهم من اول يوم على ازالة هذا العائق عن طريقهم ، وعلى التقليل من اهمية الاسلام والروحانية ، بشتى وسائل الاعلام . وهكذا ترون كثيرا من الناس ينظرون الى الاسلام على انه بضعة مسائل شرعية ، وترون البعض الآخر لا يحسن الظن بالعلماء . وقد سعى عملاء الاستعمار الى اتهام العلماء وتشويه سمعتهم حتى لقد اذاع بعضهم بكل وقاحة وبلا حياء : « ان ستمائة من علماء النجف وايران كانوا يعملون لحساب الانكليز . الشيخ الانصاري كان يتقاضى الرواتب منهم لمدة شهرين » . ويستند هذا العميل في اذاعة ذلك الى وثائق من وزارة الخارجية البريطانية في الهند . ما اشد لهفة الاستعمار الى اختلاق مثل هذه التهم !

ومن جهة اخرى فقد بذلوا قصارى جهدهم في التقليل من شأن الاسلام ، وتحديد وظائفه ووظائف القائمين عليه من الفقهاء والعلماء ، وحصر تلـك الوظائف والواجبات في حدود بيـان المسائل ، وفي حدود المواعظ والارشادات وقـد صدق بعض السـذج ذلك فتاهوا من حيث لا يشعرون . اقول لكم : ان هذه الاتهامات والجهود المبذولة في تشويه السمعة تستهدف استقلال البلاد وثرواتها .

المؤسسات الاستعمارية كلها وسوست في صدور الناس ان الدين لا يلتقي مع السياسة . الروحانية ليس عليها او ليس لها ان تتدخل في الشؤون الاجتماعية . ليس من حق الفقهاء ان يعملوا لتقرير مصير الامة . ومن المؤسف جدا ان البعض منـا صدق بتلك الاباطيل . وقد تحقق بهذا التصديق اكبر امل كانت تحلم به نفوس المستعمرين .

انظروا الهيئات الدينية ، فستجدون آثار ونتائج تلـك الدعايات واضحة . فهنالك البطالون من عديمي الهمم ، وهنالك الكسالى الذين يكتفون بالدعاء ، والثناء ، والتحدث في بعض المسائل الشرعية ، وكأنهم لم يخلقوا لغير ذلك . ومما يمكـن رؤيته في هذا الجو من تلك الآثار والنتائج هو النغم التالي : « الكلام يتنافى ومقام العالم . المجتهد لا يليق به ان يتكلم ، ويحسن به ان يكثر الصمت ويكتفي بقول : لا اله الا الله ، او

يكتفي باليسير جدا من الكلام » ! هذا خطأ ، وفيه مخالفة للسنة الشريفة . فالله يثني على البيان في سورة الرحمن بقوله تع : « وعلمه البيان » وهو بهذا يمن على عباده ان علمهم البيان ، ويذكرهم بفضله ونعمته المسبغة عليهم في هذا التعليم . فالبيان انما حسن لاجل تعليم الناس عقائدهم السليمة ، واحكام دينهم ، وقيادتهم الى شاطيء الاسلام . وكان الرسول (ص) وامير المؤمنين (ع) اكبر امراء البيان .

اصلاح المتقدسين :

الافكار البلهاء التي يبثها الاعداء مما ذكرنا بعضها قبل قليل ، يوجد فينا من يؤمن بها ، وفي هذا ادامة للاستعمار والنفوذ الاجنبي . هؤلاء جماعة من البلهاء يدعون بالمقدسين ، وهم ليسوا بمقدسين ، بل متقدسين يتكلفون التقدس . علينا ان نصلحهم وان نحدد موقفنا منهم ، لان هؤلاء يمنعوننا من الاصلاح والتقدم والنهوض .

وذات يوم اجتمع في منزلي : المرحوم آية الله البروجردي والمرحوم آية الله الحجة ، والمرحوم آية الله الصدر ، والمرحوم آية الله الخونساري(١) للتداول في امر سياسي مهم . فتقدمت اليهم ان يحددوا موقفهم من هؤلاء المتظاهرين بالقداسة البلهاء ،

---

(١) كبار مراجع الشيعة .

تجاههم اعداء من الداخل ، لان هؤلاء لا يهتمون بما يجري ، ويحولون بين العلمــاء الحقيقيين وبين تسلم السلطـة والاخذ بزمام الامور . فهؤلاء يوجهون اكبر لطمة للاسلام ، ويشكلون اكبر خطر عليه ، ويبرزون الاسلام بصورة مشوهـة كأقصى ما يكون التشوه ، ويوجد من هؤلاء كثـير في النجف وقم وخراسان (١) ، ولهم تأثير على البسطاء والبلهاء من امثالهم من الناس . هؤلاء يعارضون من يصرخ في الناس لايقاظهم مما غطوا فيه من السبات هؤلاء يدعون الناس الى الكسل والتخاذل. هؤلاء يعارضون من يعارض ويقاوم نفوذ الانكليز والامريكان .

علينا اولا ان ننصح امثال هؤلاء ان يرجعوا عـن غيهم ، وننبههم على الخطر المحدق بالاسلام والمسلمين وان نفتح ابصارهم تحت ضوء الشمس على الخطر الصهيوني والانكلو اميركي الذي يمد الكيــان الاسرائيلي بمقومات الحياة . لا تطفئوا النـــور وتنضروا في امواج الظلام كما فعل النصارى قبلكم ، فقد ألهاهم البحث في التثليث والاقانيم وروح القدس والاب والابن ، ولم يبق لهم شيء آخر . تيقظوا وانظروا الحقائق كما هي . تناولوا مسائل حياة اليوم والغد .

أتتوقعون انتم بوضعكم هذا ان تضع الملائكة اجنحتها تحت اقدامكم ؟ انه لكم لا الملائكة في شغل شاغل

---

(١) فيها مراكز وجامعات دينية كبيرة .

عنكم ؟! الملائكة تضع اجنحتها تحت اقدام امير المؤمنين (ع) لسابقته وخدمته ، ونشره للاسلام في الدنيا كلها . فالملائكة تخضع له ، ويخضع له الناس حتى الاعداء منهم ، لانهم يخضعون للحق في قيامه وقعوده وفي كلامه وصمته ، وفي خطبه وصلواته وحروبه . ماذا تستحقون انتم من ذلك التعظيم ؟ لا شيء !!

نحن نكلم هؤلاء المتقدسين بمثل هذا الكلام . فان نفعت الذكرى فذاك ما نريد ، والا كان لنا معهم حساب آخر وموقف آخر .

تطهير المراكز الدينية :

وهذه المراكز الدينية العلمية التي تمارس فيها عمليات التدريس والتعليم الديني والزعامة الدينية ، وهي موطن الفقهاء العدول ، ومهبط الطلبة والاساتذة من شتى البلاد . هي معدن امناء الله وخلفاء الرسل . ومن يكون امين الله في عباده وبلاده لا يطمع في شيء من فضول الحياة ، ولا يطيع للظالمين امرا ، ولا يزكي لهم عملا ، ولا يعقد لهم عقدة ، ولا يبني منهم بناء . وانتم تعلمون ما جناه على الاسلام فقهاء السلاطين وتعلمون ما لتعامل الفقيه مع الجائرين من تأثير في الناس . فانضواء الفقيه تحت لوائهم يكون اشد ضررا على الاسلام من انضواء الف فرد عادي آخر . ومن هنا فقد شدد ائمتنا المعصومون عليهم في هذا

الامر ، ونهوا عن اتباعهم عن اي نوع من التعاون والتعامل مع الحاكمين الجائرين مهما كان ذلك هينا ، حذرا من ان ينتهي الامر بالاسلام والمسلمين الى مثل هذه النهاية التي نراها .

فرض الائمة عليهم السلام على الفقهاء فرائض مهمة جدا ، والزموهم اداء الامانة وحفظها . فلا ينبغي التمسك بالتقية في كل صغيرة وكبيرة . فقد شرعت التقية للحفاظ على النفس او الغير من الضرر في مجال فروع الاحكام . اما اذا كان الاسلام كله في خطر ، فليس في ذلك متسع للتقية والسكوت . ماذا ترون لو اجبروا فقيها على ان يشرع او يبتدع ! فهل ترون انه يجوز له ذلك تمسكا بقوله (ع) التقية ديني ودين آبائي ! ليس هذا من موارد التقية او من مواضعها . واذا كانت ظروف التقية تلزم احدا منا بالدخول في ركب السلاطين ، فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتى لو ادى الامتناع الى قتله ، الا ان يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للاسلام وللمسلمين ، مثل دخول علي بن يقطين ، ونصير الدين الطوسي رحمهما الله .

وبالطبع ففقهاؤنا كما تعرفون من صدر الاسلام والى يومنا هذا اجل من ان ينزلوا الى ذلك المستوى الوضيع . وفقهاء السلاطين كانوا دائما من غير جماعتنا ، وعلى غير رأينا . وتعرض فقهاؤنا على مر العصور لابشع الوان القسوة والاضطهاد وحملات الابادة والمطاردة في كل مكان .

وطبيعي ان يسمح الاسلام بالدخول في اجهزة الجائرين اذا كان الهدف الحقيقي من وراء ذلك هو الحد من المظالم ، او احداث انقلاب على القائمين بالامر ، بل ان ذلك الدخول قد يكون واجبا • وليس عندنا في ذلك خلاف ، انما الكلام فيمن دعته بطنته واستهوته الحياة الدنيا ، وباع آخرته بدنيا غيره وزين له الشيطان سوء عمله ، فعمل في صفوف الخونة من الحاكمين وايدهم وآزرهم وسار من ورائهم ،والله على ما يعمل ويقول شهيد •

اطردوا فقهاء السلاطين :

هؤلاء ليسوا بفقهاء • وقسم منهم قد ألبستهم دوائر الامن والاستخبارات العمائم لكي يدعوا الله للسلطان ويستنزلوا عليه بركاته ورحماته • وقد ورد في الحديث في شأن هؤلاء : « فاخشوهم على دينكم » •

هؤلاء يجب فضحهم ، لانهم اعداء الاسلام • يجب على المجتمع ان ينبذهم ، ففي نبذهم واحتقارهم نصر للاسلام ولقضية المسلمين • يجب على شبابنا وابنائنا انتزاع عمائم هؤلاء من فوق رؤوسهم • اين شبابنا في ايران ؟ هل ماتوا ام غفلوا !! لا اقول : اقتلوا هؤلاء ، فلتنزع عنهم عمائمهم على الاقل • على الناس جميعا ان يمنعوا هؤلاء من الظهور في المجتمع بملابس رجال

الدين ، لان في ذلك تلويثا وتدنيسا لهذا اللباس الطاهر الشريف. وقد قلت لكم ان علماء الاسلام الحقيقيين كانوا منزهين عن مثل هذا ولا يزالون . وهؤلاء الذين ترونهم وتسمونهم احيانا قد الصقوا انفسهم بالعلماء الصاقا ، وليسوا من العلم والعلماء في شيء . انما هم جماعة من البطالين ، والناس تعرفهم ، وحسابهم عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى .

وقد كلفنا ان نهذب انفسنا ونبعدها عن التهالك على حطام الدنيا . وانتم فأعدوا انفسكم لحفظ امانة الله التي استودعكم اياها . كونوا امنـــاء على دينكم ، ولا تركنوا الى الدنيـــا ولا تطمئنوا اليها ، وانكم لا تقدرون من انفسكم على مثل ما قدر عليه امامكم امير المؤمنين (ع) الذي كانت الدنيا عنده لا تساوي عفطة عنز . اعرضوا عما ضمن لكـــم في هذه الحياة ، وزكـــوا انفسكم ، واتقوا ربكم واتكلوا عليه . وان كنتم ـــ لا سمح الله ـــ انما تدرسون علوم الدين لتترفوا في الحياة ، فانا اؤكد لكم انكم لا تبلغون من الله شيئا ولا تنالون لديه مقاما محمودا ، والله سيحرمكم من التوفيق الى فضيلة الاجتهاد والفقه والبصر في احكام الدين ، ولستم بذلك امناء الرسل . اعدوا انفسكم لخدمة دينكم ، جندوا انفسكم لامام زمانكم حتى تستطيعوا ان تبسطوا العدل في وجه البسيطة . اصلحوا انفسكم ، وتخلقوا بأخلاق الله واخلاق الانبياء واتركوا زخارف الحياة ، واكتفوا بعيشة الكفاف ، ليقتدي الناس بكم في عفة نفوسكم وابائهـــا

ورفعتها ، وليكون لهم فيكم اسوة حسنة • كونوا جنودا لله ، ترفرف ألوية الاسلام في كل مكان على ايديكم • لا اقول : اتركوا دروسكم ــ استغفر الله ــ بل ادرسوا وتفقهوا في الدين وانذروا قومكم ، وقوموا هــذه الهيئات والمجامع العلمية ولا تتركوهـا تتداعى وتنهار • ولكن في خلال دراستكم بلغوا وارشدوا ووجهوا وايقظوا النفوس من سباتها • الاسلام اليوم غريب ، ليس هناك من يعرفه ، فعليكم ان تقربوه للناس وتوضحوه لهم حتى يفهـم الناس الاسلام على وجهه ، بعيدا عن الشبه والشكوك والاقاويل التي قيلت فيه ، واثيرت من حوله • بينوا للناس معنى الحكومة الاسلامية ، بينوا لهم معنى الرسالة والنبوة والامامة • لماذا جاء الاسلام ؟ وماذا يريد ؟ قليلا قليلا ويسكن الاسلام في القلوب والافئدة والعقول ، لتقوم بعد ذلك حكومة اسلامية يمتثل فيها امر الله ونهيه •

تدميـر الحكومـات الجائـرة :

١ ــ مقاطعة المؤسسات التابعة للحكومة الجائرة •

٢ ــ ترك التعاون معها •

٣ ــ الابتعاد عن كل عمل يعود نفعه عليهم •

٤ ــ تأسيس مؤسسات قضائية ، ومالية ، واقتصادية ، وثقافية ، وسياسية جديدة •

وعلينا بمحاربة حكم الطاغوت ، لان الله تعالى قد امر بذلك وهو قد نهى عن طاعة الطاغوت والسير في ركابه . وعلى السلطات غير العادلة ان تخلي مكانها لمؤسسات الخدمات العامة الاسلامية ، لتقوم تدريجيا حكومة اسلامية شرعية مستقرة .

وقد ندبنا الله في كتابه الكريم الى الوقوف صفا كالبنيان المرصوص في وجه سلاطين الجور ، وامر موسى بمعارضة فرعون ومقاومته . ووردت في ذلك احاديث كثيرة .

وأئمتنا وشيعتهم كانوا على مدى الاحقاب يقاومون سلطات الجور في كل مكان ، ولا يهادنونها ، وبسبب من ذلك فقد نالهم من الخسف والاذى الشيء الكثير ، يظهر لنا ذلك من خلال حياتهم التي يحدثنا عنها التاريخ .

وبالرغم من ان الائمة كانوا مراقبين ، ولا يتركون لسبيلهم ، وكانوا من اجل ذلك يتخذون الحيطة والتقية لحفظ الدين لا لحفظ انفسهم ـ بالرغم من ذلك كله ، فلم تخل كلماتهم من الحث على المقاومة ، والمنع من المهادنة . وكان حكام الجور يخشون أئمة الهدى (ع) لما علموه فيهم من انهم اذا واتتهم الفرص فانهم ينهضون لاخذ زمام الامور ، ويجعلون العيش المترف على الحاكمين حراما . فأنتم ترون « هارون » يحبس الامام موسى بن جعفر (ع) سنين طويلة ، والمأمون يجبر الامام الرضا (ع) على

الاقامة في « مرو » تحت رقابة مشددة ، ثم يسمه بعد ذلك . ولم يكن هذا الاضطهاد بسبب ان هؤلاء من ذرية الرسول (ص) ، بل لما يحمله الائمة من افكار وآراء ومواقف . وكان هارون والمأمون يتشيعان ، ولكن الملك عقيم ، وهم يعلمون ان اولاد علي دعاة الخلافة اينما كانوا ، وهم يسعون باصرار لتشكيل حكومة اسلامية كجزء من واجباتهم الحياتية .

وقد سأل المهدي من خلفاء بني العباس الامام موسى بن جعفر (ع) عن حدود « فدك »(1) ليردها اليه ، فحد له الامام (ع) حدود البلاد الاسلامية كلها قائلا : حد منها جبل احد ، وحد منها عريش مصر ، وحد منها سيف البحر ، وحد منها دومة الجندل . فقال المهدي : هذا كثير انظر فيه .

كان الحكام الجائرون يعلمون ان الامام موسى بن جعفر(ع) اذا خلص منهم فان الحياة تغدو عليهم حراما ، وانه سينهض ان وجد من ينصره ، ولا يتوانى في ذلك ابدا . لا تشكوا في ان الامام موسى بن جعفر (ع) لو سنحت له الفرص فانه كان يأخذ الخلافة ليقيم بها الحق ويزهق بها الباطل ، ويملأ الارض بالقسط والعدل.

وانظروا كيف كان المأمون يداري الامام الرضا (ع) ويوليه العهد ، ويخاطبه : « يا ابن العم » « يا ابن رسول الله » ، وكان

---

(1) ميراث فاطمة الزهراء سلام الله عليها من ابيها صلى الله عليه وآله وسلم .

مع ذلك يراقب حركاته لانه كان يخشاه على سلطانه ، لما له من نفوذ في القلوب ومنزلة عند اللـه وقربة مـن الرسول (ص) • فالسلاطين يريدون الملك ويفتدونه بكل شيء • ولو كان الامام يسير في ركابهم ــ والعياذ بالله ــ لكان مرفها ومدللا ، ولكانوا يقبلون يديه ، ويتبركون بأقدامه كل حين •

ورد في الحديث ان الامام الرضا (ع) حينما ادخل علـى « هارون » امر ان يدخل البلاط راكبا حتى اذا وصل الامام الى مقربة من منصة الخلافة ، قام اليه هارون ، وسلم عليه ، واكبره واحترمه اشد الاحترام ، ولكنه عندما قسم المال على الناس خص بني هاشم بشيء قليل من المال ، وكان ذلك قد اثار استغراب المأمون ــ وكان حاضرا ذلك المجلس ــ وقد شاهد ما سبق من ابيه من الاحترام والاجلال ، فسأله عن سبب قلة المال فقال لـه أبوه : يا بني انت لا تدري • ينبغي ان لا يزيد سهم بني هاشم عن هذا المال ، ان هذا الامر لهم ، وهم اولى به منا ، فلو مكناهم لوثبوا علينا • وهو بهذا يريد ان يبقوا فقراء ، مساجين ، مبعدين مشردين ، مقتولين ، مسمومين •••

ولم يكن الائمة وحدهم في مقاومتهم لسلطات الجور ، بل كانوا قد دعوا المسلمين جميعا الى مثل ما كانوا عليه • يوجد في كتاب «الوسائل» و « مستدرك الوسائل » ما يزيد على الخمسين حديثا فيها امر باجتناب الظلمة والحكام الجائرين ، وفي بعضها

امر الائمة (ع) ان يحثى التراب في وجوه المداحين وافواههم • وكل من اعانهم ولو بمداد او قلم فعليه كذا وكذا من الوزر والاثم والعقاب • وعلى كل فقد امرنا بالمقاطعة وعدم التعاون بشكل تام • وفي مقابل ذلك وردت احاديث تدعو الى العلم والتعلم وتثني على العلم والعلماء والمتعلمين ، وفي بعضها : « مداد العلماء افضل من دماء الشهداء » • وكل هذا انما هو دعوة صريحة الى تشكيل حكومة اسلامية يقودها الفقهاء العدول ـ تنقذ الناس من وطأة الاستعمار واذنابه وتزيل كل آثاره ، ويحيى الناس في ظل رايتها حياة الامن والاستقرار ، والسعادة تحالفهم في الدارين •

ولا يصل المسلمون في اي وقت الى ما يريدون من العدل والامن والاستقرار الا بعد تحليهم بالايمان الكامل والاخلاق الفاضلة ، في ظل حكومة عادلة تتبع قوانين الاسلام ، وتستغني عما سواه •

وقد كلفنا بتقديم اطروحة الحكومة الاسلامية الى الناس ، ونتمنى ان تحدث هذه الاطروحة في نفوس الناس يقظة وحماسا ووعيا ترتكز عليه اسس ودعائم الدولة الاسلامية الحديثة ، ليستعيدوا في ظلها سابق مجدهم وعزتهم ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين •

❋

. اللهم كف عنا ايدي الظالمين . واقطع دابر الحكام الجائرين ، وابعث العدل والرحمة والرأفة واليقظة في نفوس حكام المسلمين ، ليعملوا في صالح شعوبهم ، ويتركوا ما هم عليه من الاثرة .

ووفق الشباب ، والمثقفين والجامعيين الى تطبيق اهـداف الاسلام المقدسة ، واجعل المسلمين جميعا صفا واحدا ليتخلصوا ويخلصوا امتهم والعالم اجمع من براثن التخلف وآثار الاستعمار، ووفقهم للدفاع عن وطنهم صفا كأنهم بنيان مرصوص .

ووفق اللهم الفقهاء وطـلاب علوم الدين للعلم والهـدى والعمل الصالح ، وانجح مساعيهم في تأسيس الحكومة الاسلامية الراشدة ، انـك ولي التوفيـق ، ولا حول ولا قوة الا باللـه العلي العظيم .

الثمن ٧٥ قرش